http://nj180degree.com

د. فرج فودة

المعلوب

http://nj180degree.com

http://nj180degree.com

دكتور
فرج فودة

المعلوب

دار ومطابع المستقبل
بالفجالة والإسكندرية

http://nj180degree.com

جميع الحقوق محفوظة
لورثة المؤلف

الغلاف للفنان خلف طايع

الطبعة الأولى ١٩٨٥
الطبعة الثالثة ٢٠٠٤

http://nj180degree.com

مقدمة

كانت هذه الصفحات فصلاً من كتاب، وكنت متفائلاً بإمكانية نشره في إحدى المجلات أو الصحف . وحاولت مع ثلاث منها، فكان الرد أعتذاراً رقيقاً، لأن مضمونه الذي يعكسه العنوان ، ليس مؤكداً لديهم أو متوقعاً منهم . وخلال المحاولات مرت الشهور ، وحدثت التطورات ، وبدأت توقعاتي في التحقق ، وبدات أشعر بضرورة أن أسرع بنشر هذا الفصل . ورفضت في ذات الوقت أن أدخل عليه أي تعديل ، مكتفياً في نهايته بذكر تاريخ الإنتهاء من كتابته . وبدأت أتخلى عن فكرة نشر الكتاب الكبير الكامل ، خاصة بعد أرتفاع أسعار الورق ، وتخوفي من أن يحول السعر دون وصول الكتاب إلى الجمهور الواسع من القراء ...

وربما تساءل القارىء عن سر أختيار العنوان ، الذي يبدو عنوانا (غير رصين) . لكني أستميحه العذر أن يؤجل هذا التساؤل إلى نهاية الكتاب ، لكي يكتشف معي أنه عنوان دقيق لأخطر ظاهرة عرفها الأقتصاد المصري في القرن الأخير .

http://nj180degree.com

وأخيرا ، يبقى تساؤل عن حجة من رفضوا النشـــر ، وموقـــف أمثالي ممن يكتبون ولا يتاح لهم النشـــر إلا على صفحـــات الكتب ، وفي أحيان كثيرة على نفقتهم الشخصية ..

ثم نتساءل عن سبب فساد المناخ الفكري ...

ف . ف

http://nj180degree.com

ولا تعليق

أنت تكسب ، ليس لأنك الأذكى، ولكن لأن الآخرين أغبياء . وليس لأنك الأكثر مقدرة ، ولكن لأن الآخرين عجزة . وليس لأن بابك مفتوح ، ولكن لأنهم سدوا جميع الأبواب والنوافذ . وليس لأنك الأكفأ ، ولكن لأنك الأثبت أعصاباً ، والأقل أنفعالاً ، والأكثر إيماناً بأنك من التراب وإلى التراب تعود. والمعنى الديني هنا ليس مقصوداً ، وإنما المقصود هو المعنى المباشر . فالتراب الذي أتى منه هؤلاء ، هو تراب الحواري الذي أنبت أبناء الطبقة دون المتوسطة . فإذا عادوا إليه فلا بأس، وإذا عادوا إلى غيره في أي مكان (أمين للتحفظ) فلا بأس أيضاً . بيد أن العودة هذه المرة مشكوك فيها ، مادام الجميع يتحصنون بعشرات الآلاف من صغار المودعين ، وبالآلاف من متوسطيهم ، وبالعشرات من كبارهم . ومادام للمال لغة تهتز أمامها الرؤوس ، وتنحني لرنينها الرقاب ، ويطمح إليها بعض المسئولين في عالم اليوم . تحسباً لعالم الغد ، حين تنطفيء الأضواء . فيأتي السعد ساعياً ، ويصبح الزمن ريانا . ولا ضير في ذلك طالما أنه تم من حلال العمل الشريف ..

ولا تعليق ..

http://nj180degree.com

حقاً لا تعليق ونحن نقارن نماذج رجال الأعمال اليوم برجال الأعمال في زمن سابق . فنضع " الحاج " في ميزان المقارنة مع طلعت حرب ، ونضع المحاسب في ميزان المقارنة مع أحمد عبود . ولا داعي للأستطراد ، فالنموذجان كافيان ، ونتيجة المقارنة متروكة للقراء. بيد أنه من الملائم أن نُشير إلى أن ثروات نماذج اليوم أكبر بكثير . بل لعلها لم تخطر لأحد من السابقين على بال ، وربما على خيال . ويبدو أن السابقين كانوا أقل ذكاء ، أو أن اللاحقين في زماننا السعيد قد تعلموا من دروسهم الكثير . فطلعت حرب قد ترك وراءه بنك مصر ، وشركة مصر للطيران ، وشركة مصر للنقل البحري ، وشركات مصر للغزل والنسيج ، وستوديو مصر ، والمسرح القومي ، وغير ذلك من المآثر العظيمة . لكنه أنتهى يا مولاي كما خلقتني ، بل قضى آخر عمره مُبعداً عن البنك الذي أنشأه . أما أحمد عبود ، فقد كان نموذجاً كاملاً ومتكاملاً لأفتقاد الحكمة والحنكة وبعد النظر. فقد وضع الرجل كل أمواله على الأرض، في صورة شركات ومصانع ومزارع وعقارات . وكانت النتيجة أن أتت الثورة ، على جواد التأميم ، فسلبت الرجل أمواله . وأنتهت حياته وهو يتحسر على ثروته التي ذهبت مع الريح .

صحيح أن مصر كسبت من الأثنين ، لكن رجال الأعمال اليوم يرددون حكمة عظيمة مضمونها : ماذا يربح الإنسان لو كسبت مصر وخسر هو الجلد والسقط ؟. وصحيح أن ما صنعه الأثنان كان القاعدة الصلبة لما يُسمى اليوم بالقطاع العام ، والأرضية الصلدة

http://nj180degree.com

للتقدم الفني والإنتاجي حتى نهاية القرن . ولكن أصحاب بيوت الأموال اليوم يعلقون على ذلك في بلاغة وعمق وسمو، بقولهم: سلم لي على المترو !. ويبدو أنهم أستوعبوا الدروس أستيعاباً كافياً وكاملاً . فلم يستثمروا من الأموال إلا مقدار ما يُخزي العين . ولم يندفعوا إلى الأستثمار إلا بقدر محدود لا يتجاوز زكاة المال . ولم يضعوا كل الأموال في البنوك المصرية ، وإنما وضعوا أغلبها في بنوك الفرنجة ، حتى إذا وقعت الواقعة ركبوا الطائر الميمون . والركوب والهروب مضمون، إلى حيث أموالهم مودعة، وإلى حيث يعيشون في دعة ، وإلى حيث النساء كالهلام ، والمتع كالأحلام ، والرجال لا يشغلونك بالسلام أو بالكلام. وقديماً قال الشاعر الشعبي، على لسان أبو زيد الهلالي سلامة : تحدث عن البركة كأنك أبلغ البلغاء في تهامة ، وأرفع إصبعك إلى السماء في عزة وكرامة ، ثم أجمع أموالهم وأنت منتصب الهامة ، فإذا أزفت الآزفة وقامت القيامة ، فأنطلق إلى جزر البهامة . والهاء هنا لزوم القافية ، والله أعلم .

http://nj180degree.com

المناخ المُهيأ والأرضية الممهدة

حتى نتفهم جيداً كيف نشأت بيوت توظيف الأموال ، يجدر بنا أن ندرس المناخ العام الذي ساعد على تطورها ونموها بهذه الصورة السرطانية . وفي تقديرنا أن جزئيات هذا المناخ هي على النحو التالي ..

أولاً . وجود أعداد ضخمة من المصريين العاملين بالخارج ، الأمر الذي ترتب عليه توافر ثروات كثيرة محدودة ، وقليلة غير محدودة . أغلبها مودع بالخارج ، ويتحين أصحابه الفرصة الملائمة لإدخاله إلى مصر من خلال قنوات شرعية للأستثمار أو لتنمية هذه المدخرات ..

ثانياً . ظهور حركة كساد عام في منطقة الخليج ، زادت تعقيداً بعد الضربات المتتالية ، والتي تمثلت في أستمرار وتفاقم الحرب العراقية الإيرانية ، وأنخفاض أسعار البترول ، وأنهيار سوق المناخ بالكويت ، وأنهيار سوق الأوراق المالية في نيويورك ، وتفاقم المشاكل الأقتصادية في أمريكا الجنوبية . الأمر الذي ترتب عليه تدهور الأحوال المالية . وحصار إمكانيات تنمية الثروات بالخارج ، واللجوء لأول مرة إلى سياسات أنكماشية ، بل وأحياناً إلى الأقتراض . مما ترتب عليه الأستغناء عن كثير من المصريين

KMH

http://nj180degree.com

العاملين ، أو أتجاههم من أنفسهم إلى تصفية أوضاعهم وترتيب إمكانيات العودة لأنفسهم ولمدخراتهم ..

ثالثاً . ضآلة إمكانيات الأستثمارات الصغيرة ، وإنعدام فرصها تقريباً ، بل وأنحصارها في بدائل محددة ، أكثرها شيوعاً عنابر الدواجن، أو بناء منزل صغير ، أو شراء شقة أو شقق ، وفي جميع البلاد يتم تجاوز عقبة الأنخفاض النسبي في المدخرات بالمقارنة بالأستثمارات المطلوبة للمشروعات الكبيرة . بإنشاء الشركات المساهمة ، أو شراء الأوراق المالية . بيد أن التجارب السيئة في بداية الأنفتاح، مع أنعدام روح الجماعة لدى المصريين بصفة عامة، وغلبة روح الفردية أو الأنفراد . أديا إلى توافر كم هائل معروض من الأموال ، دون طلب مقابل يتمثل في قنوات أستثمارية أو أدخارية ملائمة ..

رابعاً . وهذا هو أهم العوامل وأخطرها : تغلغل الروتين الحكومي إلى الدرجة التي يُمكن أن يظن الفرد معها أن تعطيل الأستثمار قرار مُتخذ وغير مُعلن ، لكنه مُستهدف باليقين . فكل خطوة مشكلة ، وكل مشكلة تدفع إلى تجاوز للقانون أو تحايل عليه . كما أنها تحتاج إلى موافقة ، وكل موافقة تبدأ بممانعة ، أو تنتهي بممانعة . وفي كل الأحوال تمر بمماحكة . وكل الأبواب يُمكن أن تفتح ، وكل الأبواب يمكن أن تقفل أيضاً . والمشروع الذي يحتاج إنشاؤه إلى عام يستغرق ثلاث أعوام . والمستثمر الذي يبني

http://nj180degree.com

مشروعه على ربح ٢٥% في السنة وفترة إنشاء عام كامل ، يتوقع أن يكون متوسط ربحه ٢٠% خلال السنوات الخمس الأولى (سنة بدون أرباح وأربع سنوان بربح ٢٥%) . وهو يرضى بذلك ويسعد به ، لكنه يصطدم عند التنفيذ بأستنفاذ ثلاث سنوات على الأقل في مرحلة الإنشاء . والنتيجة أن يُصبح متوسط ربحه خلال السنوات الخمس الأولى ١٠% ، أي أقل من عائد البنك ، الأمر الذي لا يُبرر الأستثمار ناهيك عن المخاطرة ..

إن تعقيدات الروتين الحكومي ، وروح عدم الثقة السائدة ، وفساد الضمائر والذمم ، وتدخل أجهزة الدولة بالمنع أو المعاكسة وليس بالتسهيل أو المساعدة . أمور تدفع جميعاً إلى إحجام المستثمر عن الأستثمار أو العمل المنتج ، وبحثه عن وسيلة سهلة تكفل له دخلاً ثابتاً. فإذا أضفنا إلى ذلك ما يحيط مناخ الأستثمار في السنوات الأخيرة من تضييق في مجال الأئتمان ، لأدركنا حجم إغراء بيوت توظيف الأموال التي تُضيف إلى ضمان الدخل الثابت ، نأيها بالمدخر عن مشاكل الضرائب والتركات ، وغيرها من المشاكل أو المشاغل المتعددة والمعقدة ..

خامساً . عدم معقولية أسعار الفائدة التي تقدمها الأوعية الأدخارية في مصر ، حيث تقل عن نصف نسبة معدل التضخم السنوي . الأمر الذي يعني ببساطة أن المدخر يخسر واقعياً تقريباً نسبة الفائدة ولا يكسبها ..

http://nj180degree.com

ما سبق يُمثل جزئيات المناخ العام السائد في مصر قبيل نشأة بيوت توظيف الأموال . وهو يشكل في مُجمله عوامل مساعدة على نجاح هذه البيوت . فهناك العرض المتوافر ، متمثلاً في محدودية فرص الأستثمار المحدود ، وسوء مناخ الأستثمار ، وتدني عوائد الأدخار . بيد أن هناك عاملاً آخر يسبق العوامل السابقة . وقد تمت إدارة الحملة المرجحة له بمهارة وحنكة . ويتمثل هذا العامل في إذكاء المشاعر الدينية ، الساخنة بالمصادفة منذ بدء العقد الأخير ، و أستخدامها بمهارة شديدة في تحقيق هدف مزدوج، يتمثل في رفض فتوات الأدخار المتاحة (لكونها ربوية وآثمة) وتزكية قنوات الأدخار البديلة في بيوت توظيف الأموال (لكونها إسلامية مباركة) هدفها الهدى ، ورمزها بدر ، وغايتها السعد ، وسبيلها الأستثمار الشريف والمال الحلال ، سبيل المؤمن إلى الجنة . وللجنة باب أسمه الريان .

http://nj180degree.com

ونتوقف قليلاً

نعم نتوقف قليلاً أمام موضوع الفائدة والربـــا الذي يحـــتاج إلى مبحث منفصل ربما شاركنا فيه . ونشير في عجالة إلى كتاب الربـــا في الإسلام للمستشار سعيد العشماوي (دار ســـينا للنشـــر) . وهو يثبت ما نعتقد فيه من أن الفائدة البنكية بصورتها الحالية لا علاقة لها بالربا المحرم في الإسلام من قريب أو بعيد . بيد أنه قبل الدخول في خلاف فقـــهي ، بـــل ودون الدخول فيه لأن هذا ليس مجاله ، نود أن نلفت النظر إلى عدة ملحوظات ..

أولها : يتعلق بذلك الموقف الغبي ، ونقول الغبـــي ولا نتحـــرج ونحن نصف موقف الإمتناع عن الحصول على الفوائد ، خاصة من البنوك الأجنبية ..

وأذكر في هذا الصدد ما حدثني به أستاذ فاضل هو الدكتور عبد الصبـــور مرزوق عن أعلى هيئة إســـلامية (عالمية) في المملكة العربية السعودية ، وكيف تنازلت في إحدى السنوات عن فوائد بنكية بلغت خمسمائة مليون دولار في البنوك الأمريكية ، فتم تحويلها إلى مجلس الكنائس العالمي .

والأخبار التي تتواتر إلينا تعمّق من إحساسنا بـــالغضب ، بـــل بالقهر ، مما يفعله بعض أغبيائنا ، ولا أقول بعض أغنيائنا ، حـــين يتنازل الغبـــي منهم عن عدد من الملايين ، لأنها فوائد (نجســـة) .

http://nj180degree.com

و يرسل خطاباً (مباركاً) بهذا التنازل للبنك السويسري . ما شـــاء الله .. هل هذا أفضل من منطلق الإسلام نفسه ، أم الأفضل أن يحـــصل عليها و ينفقها على فقراء المسلمين في بلاده ، أو في بلاد المسلمين ، على المسلمين الذين يعانون من المجاعة في الســـودان أو الصومال أو إرتيريا أو بنجلاديش ؟.

لا حول و لا قوة إلا بالله .. هل هانت علينا أنفسنا و أموالنا إلى هذا الحد ؟. و هـــل وصـــل الغبـــاء بفتاوينا و بمن يفتون فينـــا ، إلى هذا المدى؟. إنني أرفع صوتي بـــأعلى ما يمكنني ، معلناً أن الحـــصول على هذه الفوائد و إنفاقها على الفقراء ، ليس فقراء المسلمين فقط بل الفقراء أيا كانت ديانتهم في ديار المسلمين ، إسلام في إســـلام . في إســـلام ، و أنا مســـئول عن هذه الفتوى أمام الله ، ليس لأني أعلم المسلمين بالإسلام، بـــل لأن الإســـلام دين المنطق وليس دين الفهم المغلق . ودين العدل و العقـــل ، وليس دين الظلم و الجهل . ودين ما ينفع المســـلمين ، ليس دين ما يدفع المســـلمين إلى الفقـــر و الجهل و المرض .. هذه واحدة .

أما الثانية من الملاحظات فتتعلق بـــالمفهوم العام للفائدة ، الذي يتمثل في الزيادة الثابتة المعلومة سلفاً ، بالنسبـــة للأموال المودعة ، و هو ما يعتبره بعض الفقهاء ربا نتيجة هذا التعريف ، و الذي يتضمن عناصر : الزيادة ، و الثبات في نسبة الزيادة ، و العلم المُسبق بنسبـــة الزيادة الثابتة . و واضح أن كلمة الزيادة تُمثل القاسم المشترك في عناصر التعريف، و هي تستحق من وجهة نظرنا قليلاً من المناقشة ،

http://nj180degree.com

وكثيراً من التسليم بـــما لا نعتقـــده . وهو ان الفائدة وفقـــا للتعريف السابق تمثل ربا محرماً . لكننا سوف نسلم مؤقتاً بذلك ، ونتســـاءل هل حقاً هناك زيادة في الأموال نتيجة الإيداع في البنوك ؟. وما هو مقدار هذه الزيادة حتى نرفضها إن سلمنا بالتحريم ؟.

إن المبتدئين في دراسة الأقتصاد ، يعلمون أن هناك فرقـــاً بـــين القيمة النقدية والقيمة الحقيقية للنقود ، فأنت إذا كنت تملك مائة جنيه في أول عـــام ١٩٨٦ مثلاً ، وظللت تملكهـــا حتى نهاية العام . فإن النقدية لما تملكه ، وهي المائة جنيه ، ظلت ثابتة كما هي . بـــينما لو أرتفعت الأسعار خـــلال العـــام إلى الضعف ، فإن معنـــى ذلك أنك ستشترى في نهاية العام نصف ما كنت تشـــتريه في بـــدايته . وهذا معناه بلغة الأقتصاد ، أن القيمة الحقيقية للنقود قد قلت إلى النصف، على الرغم من ثبات القيمة النقدية .

والمبتدئون في الأقتصاد أيضاً ، يعرفون أن الأرتفاع المســـتمر والمتزايد في الأسعار يُسمى بالتضخم ، وأنه أصبح ســـمة عصرية في عالمنا الحاضر . ومعنى هذا أن التضخم الحـــادث بأســـتمرار ، يترتب عليه أنخفاض القيمة الحقيقية للنقود بأستمرار . ودليلنا على ذلك أن القيمة الحقيقية للجنيه في أوائل السبـــعينات ، تعادل أحـــياناً القيمة الحقيقـــية للمائة جنيه في أوائل الثمانينات . وأمامي واقـــعة تحسم قول كل خطيب كما يقولون . وهي تتعلق ، بفيلا صغيرة بيعت أمامي عام ١٩٧٢ بمبلغ أربعة آلاف جنيه ، ثم بـــيعت أمامي أيضاً عام ١٩٨٥ بمبلغ أربعمائة ألف جنيه ، دون أي مبالغة ، بل وحـــتى

http://nj180degree.com

دون تعريب للحسور . المهم ان معنى هذا الحديث ان المائه جنيه التي يُودعها الفرد في بنك ، لا تصبح في نهاية العام مائة جنيه كما هي ، و إنما تصبح قيمتها الحقيقية أقل بكثير في نهاية العام ، بمقدار ما أرتفعت به الأسعار . فإذا كانت الأسعار قد أرتفعت بمقدار الضعف ، فإن البنك مُطالب بأن يرد إليّ مائتي جنيه وليس مائة جنيه، حتى يمكنني القول بأنني أستردت نقودي " كاملة غير منقوصة " . فإذا أعطاني البنك مائة وعشرة جنيهات (إذا كانت الفائدة البنكية عشرة في المائة) ، فإن معنى ذلك أن البنك لم يُعطني زيادة ، بل ربما، بل ويقيناً ، أعطاني مالي منقوصاً وليس زائداً . و إذا علمنا أن مستوى التضخم السنوي في السنوات العشر السابقة لم يقل عن ٢٠%. و أن مستوى الفائدة البنكية لم يتجاوز إطلاقاً ١٥% سنوياً، فإن معنى ذلك أن شيئاً من الزيادة لم يصل إلى أيدي المدخرين . و أن شيئاً من الربا (لو سلمنا بأن الزيادة ربا ، وهو ما لا أسلم به) لم يلوث أيديهم .

ومرة أخرى أعرض أجتهادي المتواضع ، السليم بلغة المنطق ، و الصحيح بمفهوم العقل ، و المرفوض بمنطق الكثيرين ممن يفضلون النقل على العقل ، و الأجتهاد (كلمة لا معنى لها) على الأجتهاد ، و التكفير على التفكير . فأقول و أمري إلى الله : لو دع نقودك ، ولنفترض أنها مائة جنيه في البنك ، وحاسبه في نهاية العام. فإذا أعطاك فائدة عشرة في المائة ، فاسأل عن نسبة التضخم. فإذا كانت خمسة عشرة في المائة ، فأنت لم تحصل على زيادة ، و إنما حصلت على مالك ناقصاً . و إن كانت عشرة في المائة ، فقد حصلت

http://nj180degree.com

على أموالك كما هي ، وكفى الله المؤمنين شـــر القـــتال . وإن كانت ثمانية في المائة ، فقد حصلت على زيادة قدرها جنيهان . أحـــصل عليها في كل الأحوال ، وأحتفظ بها ، إن أعتقدت بأن الفائدة البـــنكية ليست ربا . أما إذا أعتقدت بأن فوائد البنك ربا ، فأنفقها على الجائع الفقير ، ممن تعرفهم ويحيطون بك .

وآسف لك أيها القاريء أشد الأسف لهذه الأنعطافة عن حـــديث مسترسل محـــوره بـــيوت توظيف الأموال . لكن ماذا أفعل وقـــد أغرقونا بوابل من الحديث عن الربـــا الذي يأكل الأموال والمحـــق الذي يصيبنا ؟. وهو في أعتقادي ليس مُحقاً ، بـــل مُحْنا يأتيه هؤلاء المزايدون دون علم أو ضمير . بينما لا تتطوع الحـــكومة بطلٍ من الردود المنطقية في مواجهة هذا الوابل من المزايدة .

ونصل إلى تساؤل جوهري وأساسي عن أساليب هذه البيوت في إدارة أموالها ، بحـــيث تدفع هذه النســـب الهائلة من الأربـــاح (كما يسمونها) . والتي تصل إلى ٢% شهرياً ، ثم بعضاً من البـــركة في نهاية العام . وقد حسب لي أحد الأصدقاء فوائد بـــيت (الريان) في إحدى السنوات مقدراً له بما يزيد عن ٣٠% ، إذا أستخدمنا أســـلوب الفائدة المركبة . ولعله من نافلة القول أن نذكر للقـــاريء أن أختيار عنوان مناسب لهذا الموضوع قـــد أرهقـــنا كثيراً ، وأننا توصلنا في النهاية لعنوان جانبي مناسب لعرض أسلوبـــهم في إدارة الأموال . حـــيث أخترنا عنوان (الملعوب) لإيجازه ودلالته وصدقـــه ، في التعبير عن أساليب هذه البيوت . ولعل القاريء يُلاحـــظ إصرارنا

http://nj180degree.com

على أستخدام لفظ البيوت ، بديلاً عن لفظ الشركات . لأن الأول أدق. و لأن محاولة الحكومة لا تزيد عن تحويل هذه البيوت إلى شركات ، و هو ما لم يحدث بصورة كاملة حتى الآن . ولأن إدارة الأموال داخل هذه البيوت ، تتم بأسلوب بيتي ، حيث تسود مفاهيم (زيتنا في دقيقنا)، (أبوها راضي وأنا راضي) ، (داري على شمعتك تقيد) . كما يتردد على ألسنتهم ، تبريراً لهروبهم من أستثمار الأموال ، الحديث المنسوب إلى الرسول (تسعة أعشار الرزق في التجارة) . و بصرف النظر عن صحة نسبة الحديث للرسول ، فإنه يُعبر عن عصر الرسول . وهو عصر جد مختلف . يفرض قيماً مختلفة عن عصرنا وعالمنا . فأين هي الأستثمارات في عصر الرسول وفي أرض الجزيرة العربية ، التي كانت وادياً غير ذي زرع ، لا يسمح بغير نشاط الرعي والتجارة ؟. ومن هنا أتت التسعة أعشار ، وليس منطقياً أن ننتقل إلى موطن مختلف ، وهي أرض مصر ، وعصر مختلف ، وهو القرن العشرون ، وتبقى تسعة أعشار الرزق في التجارة ، أستناداً إلى قول الرسول العظيم ، صاحب الخطأ المشهور في نصيحة تأبير النخل . والقول المشهور في أعقاب الخطأ (أنتم أعلم بشئون دنياكم) . ودنيانا خارج جدران بيوت توظيف الأموال ، تسعة أعشار رزقها في الأستثمار ، وفي الإنتاج الزراعي و الصناعي . ولعل الله أراد برحمته أن يُخطيء الرسول في أمور الدنيا ، و أن يُتبع خطأه بنصيحته لأهل الدنيا ، حتى يبقى ما للدين للدين ، وما للدنيا للدنيا . بيد أن هذا أيضاً مجال حديث آخر قد

http://nj180degree.com

يطول. وما أجدرنا بـأن يكون مدخلنا إلى الحـديث **عن الملعوب** .
حديثاً عن البدايات ، حتى نتتبع جذور الفكرة ، **وتطور نشأتها** .

KMH

http://nj180degree.com

البدايات

في أواخر السبعينات (عام ١٩٧٨ تقريباً) ، عرض على شاب ملتح ، دفتر إيصالات طالباً منى المساهمة في نشاط شركات الشريف ، والحصول على إيصال رسمي بهذه المساهمة ، ثم الحصول على أرباح سنوية لن تقل عن عشرين في المائة . ولم يكن يشترط حداً أدنى ، فكان من الممكن أن أشترك بخمسين جنيهاً أو بمائة جنيه . وقد رفضت المساهمة وقتها ، ولم يستلفت الأمر انتباهي . وتوطدت علاقتي بالشاب ، فعلمت منه أنه يحصل على نسبة أو عمولة لما يجمعه من أموال . وهي نسبة تختلف قيمتها وفقاً لحجم الأموال التي يقوم بتجميعها .

واضح هنا أن نقطة البدء المبكرة تمثلت في شركات الشريف . وربما كان صاحب الشركة متحرجاً من الأقتراض البنكي . ولعله، وهذا ما أظنه ، كان مدركاً أنه على وشك أن يصبح المنتج القائد للسوق في مجال البلاستيك ، وهو ما يتيح له وضعاً قيادياً يُمكنه من فرض الأسعار والتحكم في الخامات ، وتحقيق أرباح غير أعتيادية. ولم يكن يعوزه إلا تدفق الأموال للتوسع ، فلجأ إلى هذا الأسلوب . ويقال أن أحد شركائه ومدير حساباته كان صاحب الفكرة ، ثم صاحب فكرة تطويرها بعد أنفصاله عن الشريف .

http://nj180degree.com

المهم ، أن الفكرة في بدايتها كانت بدائية ، وساذجة . وأقرب إلى جمع التبرعات لبناء المساجد ، منها إلى المشاركة في الإستثمار أو المساهمة في الإنتاج . ورغم ذلك فإن إجابات الشـــاب ماتزال تطن في أذني ، وهو يؤكد لي أن الآلاف قد ساهموا بهذا الأسلوب . ومن المؤكد أنهم قد حصلوا على أرباح تتجاوز العشـــرين في المائة في نهاية العام . وأن هـــذا كـــان نقطة البـــدء ، التـــي شجعت الآلاف وعشرات الآلاف بعد ذلك على الأنضمام لطابور المودعين ، بعد أن خاض الرواد الأوائل التجربة أمامهم ، وبـــنجاح . ومن المحـــتمل أيضاً أن يكون الرواج النسبي الذي شهدته هذه الفترة ، قـــد ســـاعد مؤسسة الشريف على دفع نسبة عالية من الأرباح وتحقيق أربـــاح إضافية .

http://nj180degree.com

وفجأة بدأ التطوير

خلال المحاولات الأولى للشريف في ١٩٧٨ و ١٩٧٩ وبداية الثمانينات ، كان نجم الفرسان الثلاثة الأشقاء ، فتحي وأحمد ومحمد توفيق يسطع في مجال آخر هو تجارة العملة . وليس سراً أنهم كانوا يمارسون هذا النشاط علانية في بنك قناة السويس ، إضافة إلى حسابات مفتوحة لهم في بنك فيصل . وكان يكفي أن يوقع الحاج فتحي تحت أي رقم (خمسون ألفاً أو مائة ألف أو أكثر أو أقل) ، حتى تصبح هذه الرقعة صكاً قابلاً للوفاء في بنك فيصل . ومنطقي أن ربح تجارة العملة هائل ، وأنه يتجاوز المائة في المائة بكثير خلال العام الواحد . وليس سراً أيضاً أن أقدار تجار العملة ، وأرباحهم أيضاً ، تتناسب مع حجم تعاملاتهم في هذا السوق . فالذي يتعامل في مائة مليون صاحب وضع أفضل نسبياً ، سواء في تحديد الأسعار أو تحقيق الأرباح ، من المتعامل في عشرة ملايين . وحتى عام ١٩٨١ ، لم تتجاوز تعاملات الأشقاء رقم الخمسة ملايين . بيد أن شيئاً ما في الأفق قد تغير . .

لقد انفصل أحمد عبيد ، الخبير الأول في مجال التوظيف ، عن شريكه الشريف. وانفصلت معه مجموعة متمرسة بتجميع الأموال ، تحت شعارات البركة والصلاح . والأهم من ذلك تحت تأثير

http://nj180degree.com

النجاح السابق . وبالتحديد فقد كان المنفصلون أربعة : ثلاثة منهم أسسوا معاً شركة مصر الحجاز ، بينما أسس الرابع شركة الأندلس الحجاز ثم شركة الحجاز للتنمية العقارية والتعمير ، ووضع خبرته تحت تصرف المحتاجين إليها . وكانوا بالفعل في أمس الحاجة لها . فقد كان الريان في ذلك الوقت مستعداً لقبول أي مبالغ لكي يُديرها في تجارة العملة ، ويعطي عليها أي نسبة أرباح في أسرع وقت ممكن . ولم يكن لديه مانع من أن يدفع ٥٠% أرباحاً سنوية ، لتأكده من الحصول على ٥٠% أخرى لصالحه . وكان في أشد الحاجة للأموال. ووقتها كان هناك فتى صغير متخرج حديثاً من معهد التعاون التجاري ، أستطاع أن يقترب من الحاج فتحي ، ونال ثقته في نقل حقائب الأموال ، وفي إجراء الصفقات المحدودة . وكان أسمه أشرف سعد . وبالتقاء آل توفيق ، مع المدير السابق لحسابات الشريف ، وبمراجعة الدروس المستفادة من التجربة السابقة ، بدأت العجلة في الدوران السريع على أسس جديدة ..

* تم الأتفاق على دفع نسبة أرباح شهرية . وكان آل توفيق جاهزين ، وكانت تجارة العملة كفيلة بالسداد . وأعلن آل توفيق أنهم سوف يدفعون ٢% شهرياً تحت الحساب .

* تم إعداد صيغة تعاقد قانوني (سوف نناقشه فيما بعد) بين المودع وآل توفيق ، يُسلم فيه المودع لهم بكل شيء . فهم يتصرفون في أمواله كما يشاءون . وهم يعطونه الأرباح كما يحددون . وهم

http://nj180degree.com

أيضا يملكون أن يخطروه بأنهم خسروا كل شيء ، وأنه في (الباي باي) .

* بعد أنتهاء العام الأول، دفع آل توفيق منحة إضافية للمودعين . وإذا شئنا الدقة ، فقد تجاوزت نسبة الفوائد (بحساب الفوائد المركبة) في العام الأول ٣٠% .

* أنتقلت عدوى هذا الأسلوب المُعدل إلى شركة الشريف. وحتى عام ١٩٨٣، لم يكن هناك ثالث .

* في نهاية عام ١٩٨٣ وبداية ١٩٨٤ . حدثت أمور ثلاثة على قدر بالغ من الأهمية :

الأمر الأول : تمثل في ظهور عديد من البيوت الجديدة لتوظيف الأموال ، مثل السعد (بعد أنفصال أشرف سعد عن الإخوة توفيق) . والمصرية السعودية للأستثمار والتنمية . والهدى مصر . وبدر ، الخ .

الأمر الثاني : تمثل في عبور شركة الريان لحاجز المليار .

الأمر الثالث : تمثل في أتخاذ الدولة إجراءات صارمة للحد من تجارة العملة . مما ترتب عليه أن بدأت مجموعة الريان تواجه مأزقا مزدوجا من شقين : فقد تضخمت المدخرات بصورة غير متوقعة أو مسبوقة . وفي نفس الوقت ، توقفت التجارة الرئيسية التي تستطيع الوفاء بالتزامات بيت الريان أمام المودعين ، وهي تجارة العملة .

وهنا بدأ ما نسميه بالملعوب ، والذي أصبح يُمثل الركيزة

http://nj180degree.com

الأساسية لأساليب هذه البيوت ، والذي أتبعه الفرسان الثلاثة الأشقاء لأسباب خاصة ببيت الريان . بينما أتبعته باقي البيوت لأسباب خاصة به ، أي خاصة بالملعوب نفسه ، على النحو الذي سوف نوضحه .

http://nj180degree.com

الملعوب

و هو تعبير أصطلاحي يحمل معنى الخدعة ، ويُوحـــي في ذات الوقت بأن الخدعة مُعدّة سلفاً وليست وحي الخاطر . كما أنها متقـــنة الصنع ، وليست تلقائية التكوين . وهو أيضاً لفظ يُوحي بـــالطرافة ، ويدفع إلى القبول ، فالملعوب ، لكي يكون ملعوباً ، لابـــد وأن يكون مرغوباً ، ويستحيل أن يكون شراً كله . بل من المنطقي أن يكون به قدر من الخير ، قل أو أكثر . كما أن الملعوب لا يعني بـــالضرورة الكسب أو الأحتيال ، وإنما يعني تحديداً الإخراج المقبول لفكرة قـــد تكون صحيحة وصائبة وقد لا تكون. واللفظ بهذه الإيحاءات شـــديد الدلالة ، واضح الإيحاء بما نتصور أنه قد حدث ، تطويراً لأســـلوب الشركات في الأداء أمام واقع جديد ، ومتغيرات غير مسبوقة . مما لا يستدعي الجهد والإجتهاد سابقاً ، لإنعدام مبرراته .

ولحن هنا نختلف عن غيرنا ممن أوحوا بنشأة العملية كخداع في خداع من البداية . لأن مبررات النشأة لدى الشريف ، ثم لدى الريان ، لم تكن تستدعي الخدعة أو الخداع المقصود . ولم تكن تحتمل المقامرة أو حتى المغامرة المحدودة . فقد كان الزمن رخياً في رواج صناعة البلاستيك لدى الأول ، وتجارة العملة لدى الثاني . وكان إحتياج كل منهما للمال غير محدود . وكانت كراهية الأول لمظنة الربا قائمة ،

http://nj180degree.com

وتلهف الثاني على نجاح مماثل لنجاح الأول وارداً . وخلال عام واحد تم تبادل المواقع ، فأصبح الثاني في المقدمة في سوق توظيف الأموال ، وحقق رقماً خيالياً في زمن قياسي . فقد تعدى لأول مرة في تاريخ مصر رقم المليار . وهو ما لم يقترب منه الآخر إلا بعد عامين بالتمام والكمال ، كان هو فيهما قد ضاعف مليارة أضعافاً مضاعفة . بيد أننا نتوقف معه (مع بيت الريان حتى لا يفقد القاريء التسلسل) وهو يخطو إلى أعتاب المليار ، ويتلقى في ذلك الوقت ضربات حكومية موجعة تتمثل في تضييق الخناق على تجارة العملة . في الوقت الذي أصبح فيه مهيأ لسيادة السوق دون منازع أو شريك ، فقد تدفقت عليه الإيداعات بالدولار والإيداعات بالجنيه ، بمئات الملايين من هذا ومئات الملايين من ذاك . ولو ضارب مستخدماً الرصيدين ، لحقق في نهاية العام ما يشاء من أرباح ، ولسدد الفوائد بعشرات الملايين ومئاتها ، ولربح في ذات الوقت ما لا يقل عن الأرباح الموزعة ، دون أن يكون له علاقة بالضرائب أو الدولة أو الروتين الحكومي من قريب أن بعيد .

وعلى الرغم من أن الدولة لم تفعل ما فعلت تنبهاً منها لظاهرة بيوت توظيف الأموال (لأنها لم تتنبه إلا بعد أعوام ، وبعد أن تحولت المشكلة إلى معضلة ، والظاهرة إلى كارثة) . إلا أنها أصابت بيت الريان في مقتل ، حين دفعته إلى إعادة الحسابات على أسس جديدة، هي التي أسميناها بالملعوب. ويمكن ايجازها فيما يلي،

http://nj180degree.com

و بالتسلسل المنطقي التالي ، بعد أن نضع أنفسنا في موضع جماعة الريان ونفكر بأسلوبهم .

و نتخيل أن السؤال الأول الذي ورد على خاطرهم كان موجزاً في كلمتين ، هل نتوقف ؟. بمعنى إعادة الأموال إلى أصحابها ، و الإكتفاء بما تحقق سابقاً من أرباح ميمونة ومأمونة . ولو فعلوا ذلك لأراحوا الجميع ، بيد أن ذلك كان مستحيلاً بالنسبة لهم لعدة أسباب .

اولها : أن نجاحهم لم يكن مُقدراً لديهم بما حققوه من أرباح ، وإنما كان تقويمه الحقيقي بما حققوه من ثقة . وهو رصيد لا يُفرط فيه أحد في السوق بسهولة ، خاصة إذا كان بهذا الحجم غير العادي وغير المسبوق .

ثانيها : أنهم من الناحية القانونية آمنون بصورة كاملة . فهم يملكون أن يعطوا أعلى الأرباح، ويملكون أن يعطوا أدناها، ويملكون أن لا يعطوا أرباحاً على الإطلاق . ويملكون أن يعيدوا الأموال زائدة ، ويملكون أن يعيدوها كاملة ، ويملكون أن يعيدوها منقوصة ، و يملكون أن لا يعيدوها على الإطلاق . ولا أحد في أي حال يسألهم عن أسلوب إدارتهم للأموال ، أو حقيقة أرباحهم أو خسائرهم ، و صيغة التعاقد (العبقرية) التي تتضمن كل ذلك ، موقعة بواسطة المودع . وهي حجة في أيديهم ، يواجهون بها أسوأ الأحتمالات . بيد أن كلمة أسوأ الأحتمالات كلمة مطاطة تحتاج إلى تحديد ..

ثالثها : قبل الخوض في مفهوم (أسوأ الأحتمالات) نود أن نذكر

http://nj180degree.com

أن عاملاً هاماً كان يحكم جماعة الريان خلال سعيهم لتحديد موقفهم من الأنسحاب أو الأستمرار . وهو تجربتهم السابقة في تجارة العملة، وهي تجربة علمتهم درساً قيماً ، وهو أن العملة الصعبة سواء كانت دولار أو مارك أو غيرها ، هي المخزن الرائع للقيمة . وهي الضمان المؤكد ضد أنهيار الوضع المالي ، وفي صالح تناميه. وأي مستثمر في مصر يستطيع أن يؤكد أن تحويل الأموال بالعملة المحلية إلى عملة صعبة ، والأحتفاظ بها في أحد البنوك الأجنبية ، ثم تحويلها بعد سنوات إلى العملة المحلية ، يعطي عائداً لا يُقارن به أي أستثمار آخر .

ونعطي مثالاً بسيطاً وسريعاً على ذلك ..

منذ خمس سنوات كانت قيمة الجنيه معادلة لقيمة الدولار . وكان أمام مالك الجنيه أحد سبيلين : الأول أن يحتفظ بالجنيه في صورة مدخرات محلية بفائدة ١٣% ، وبعد خمس سنوات سوف يزداد الجنيه بقيمة الفوائد المركبة ويصبح ١٨٥ قرشاً تقريباً . والثاني أن يُحوله إلى دولار يحتفظ به في أحد البنوك الأجنبية ، ويحصل على فائدة ٩% ، فيصبح لديه في نهاية الخمس سنوات ما يزيد قليلاً عن دولار ونصف ، قيمته بسعر اليوم حوالي ٣٨٠ قرشاً (على أساس أن قيمة الدولار حوالي جنيهين ونصف) . وبلغة الأقتصاد فإن تحول الجنيه إلى ٣٨٠ قرشاً ، يوازي وضعه في أحد البنوك المحلية وحصوله على فائدة مركبة على أساس سعر فائدة سنوي ٣١%

KMH

http://nj180degree.com

تقريبا .

ومن المؤكد أن خبرتهم السابقة بسوق العملة كانت تضع أمامهم احتمالات تدهور قيمة الجنيه المصري أمام العملات الأجنبية ، على انها احتمالات واردة بل ومؤكدة ، خاصة مع نشاطهم في تحويل الجنيه إلى عملة صعبة بأستمرار وبمبالغ هائلة متاحة . ومنطقي أن يتصوروا إمكانية توفير ٢% شهرياً أو أقل قليلاً بأستخدام هذا الأسلوب ، الذي إن كان ناجحاً بالنسبة للمدخرات المحلية ، فهو منعدم التأثير بالنسبة للمدخرات بالعملة الصعبة ، والتي يقبلها بيت الريان من المصريين وغير المصريين ، سواء المقيمون في مصر او خارجها . لكن هذا يفسر لنا جزءاً من الصورة المركبة ، خاصة وأن التركيب النسبي للمدخرات داخل بيوت توظيف الأموال ، يتحول سنوياً في أتجاه زيادة نسبة المكون المحلي . ويقينا فإننا لا نبالي تصورنا السابق على فراغ ، فالمتابع لما حدث خلال الأزمة التي مرت بها بيوت التوظيف ، خاصة الريان ، بعد خسارة المضاربة ، يلاحظ أن بيت الريان قد حول في يومين خمسمائة مليون مارك إلى الجنيه المصري ، لسد مطالبات المدخرين . ومعنى ذلك أن المدخرات المصرية بالجنيه المصري ، لا يقابلها ما يوازيها بالجنيه المصري في الداخل ، وأنها مودعة بكاملها في صورة عملة صعبة في البنوك الأجنبية .

وحتى لا نفقد الترابط وتسلسل الأفكار ، فإننا مازلنا في مرحلة

http://nj180degree.com

وضع أنفسنا في موقع بيت الريان في نهاية عام ١٩٨٣ ، وبعد تضييق الخناق على تجارة العملة . ونحن نناقش من خلال تصوراتهم إمكانيات الأنسحاب من السوق أو الأستمرار ، وأسلوب هذا الأستمرار إن تم أختياره ، وقد ذكرنا أنه مما يرجح لديهم ، أختيار الأستمرار ، ما هو واضح من ثقة المودعين . بدليل أختراقهم لحاجز المليار . وما هو قائم من أنعدام المخاطر القانونية في كل الأحوال ، نتيجة أسلوب ومحتوى التعاقد بينهم وبين المودعين . وما هو متوقع نتيجة لخبرتهم من إمكانية سد جزء كبير من نسبة الأرباح التي يدفعونها للمستثمرين، من خلال تحويل المدخرات المحلية أولاً بأول إلى عملة صعبة، تودع في البنوك الأجنبية، ويتم الحصول على فوائد عليها. ويبقى ما هو أهم، وهو ما نسميه "لعبة الحالة صفر" وهو جوهر ما أطلقنا عليه أسم الملعوب . .

http://nj180degree.com

لعبة الحالة صفر

الحالة صفر هنا أسم أخترعناه للتعبير عن حـــالة ممكنة ، تُمثل اقتراضاً متشائماً للغاية . وهو أن صاحب بـــيت توظيف الأموال لن يعمل شيئ غير دفع نسبة مئوية ســـنوية من أصل الأموال المودعة، دون استخدامها في أي أستثمارات أو مضاربات أو تجارة . ويقـــيناً فإن أول ما تبادر الى ذهن جماعة الريان كان دراسة هذه الحـــالة ، وما يترتب عليها من أحتمالات . وهي في تقديرنا أحتمالات ثلاثة : الأحتمال التفاؤلي ، والأحتمال التشاؤمي ، والأحتمال الواقعي .

أما الأحتمال التفاؤلي فقد سبق وذكرناه ، ويتمثل في أفتراض أن جميع المـــدخرات أو أغلبها بالعملة المحلية ، وأنه يتم التحـــويل أولاً بأول الى عملة صعبـــة . وأن معدل أنهيار قـــيمة الجنيه المصري مستمر بنفس النسبـــة . وهنا يمكن اعطاء نسبـــة الربـــح المعتادة ، والمتصور للتبسيط أنها ٢٤% سنوياً بل ويمكن أيضاً تحقيق أرباح اضافية لا بأس بها .

والأحتمال التفاؤلي السابق غير وارد في تقديرنا خلال السنوات التالية . لأسباب متعددة على رأسها الرقابة المالية المتوقـــع فرضها من الدولة على هذه البيوت ، وعدم توقـــعنا لمزيد من أنهيار الجنيه المصري بهذه المعدلات .

ونلتفت الى الأحـــتمال المتشـــائم ، وهو يمثل جوهر اللعبـــة أو

http://nj180degree.com

المنعوب . ويشكل منطقه الأساسي الذي ننبي عليه قرار الاستمرار وسوف نوضحه بمثال تطبيقي بسيط ..

بيت توظيف الأموال هذا معه مائة جنيه منحرات . وكلها بالجنيه . أو كلها بالدولارات . والتحويل من الجنيه إلى الدولار أو العكس ممنوع ومستحيل . في أي سوق سوداء كانت أم بيضاء والفائدة السنوية ٩% فقط . وأصحاب بيوت الأموال والعاملون بها لا يفعلون شيئاً غير شرب القهوة أو الشاي (أو الجبربين لمزيد من الأصولية) ويودعون النقود في البنوك للحصول على فوائدها . ثم يصرفون عائداً سنوياً مقداره ٢٤% في نهاية العام . بدون تفصيلات أو تعقيدات نقول إن صاحب البيت يُمكنه أن يستمر في صرف نسبة الـ ٢٤% لمدة خمس سنوات كاملة . وفي نهاية السنة السادسة يبقى معه حوالي ٢٣ر ١٠ جنيه (*) .

معنى ذلك أن أي صاحب بيت توظيف أموال يستطيع أن يأمن على نفسه من المحاظر لمدة ست سنوات كاملة وفي نهايتها يصبح في جيبه ٢٣ر ١٠% ويركب الطائر الميمون . وإذا طبقنا هذا على

(*) في العام الأول يتم إيداع الـ ١٠٠ جنيه والحصول على فائدة ٩% عليها، فتصبح ١٠٩ جنيه. يدفع منها للمودع ٢٤ جنيه. فيتبقى ٨٥ جنيه . تحصل على فائدة ٩% فتصبح ٩٢ر٦٥ جنيه. يدفع منها للمودع ٢٤ جنيه في السنة الثانية، فيتبقى ٦٨ر٦٥ جنيه تحصل على فائدة ٩% . فتصبح ٧٤ر٨٣ جنيه . يدفع منها للمودع ٢٤ جنيه في السنة الثالثة، فيتبقى ٥٠ر٨٣ جنيه. تحصل على فائدة ٩% . فتصبح ٥٥ر٤ جنيه يدفع منها للمودع في السنة الرابعة ٢٤ جنيه. فيتبقى ٣١ر٤٠ جنيه. تحصل على فائدة ٩%. فتصبح ٣٤ر٢٣ جنيه . يدفع منها للمودع ٢٤ جنيه في السنة الخامسة فيتبقى ١٠ر٢٣ جنيه في السنة السادسة

http://nj180degree.com

بيت الربان الذي تُشير التقديرات إلى تجاوزه لحاجز الستة مليارات (تصور ؟!) فإنه يملك إغلاق جميع مشروعاته ، والأستمرار لمدة ست سنوات ، يدفع خلالها خمس مرات ٢٤% سنوياً للمستثمرين . وفي نهاية السنوات الست، يرحل أصحاب البيت ومعهم ٦١٤ مليون جنيه ، بواقع حوالي مائتين وخمسة ملايين جنيه تقريباً لكل من الإخوة الثلاثة . ويمكنهم ساعتها أن يرفعوا أصواتهم فوق صوت المستثمرين ، ذاكرين لهم أنهم حصلوا على أرباح قيمتها ١٢٠ جنيه مقابل ١٠٠ جنيه أودعوها (أربعة وعشرين جنيها لمدة خمس سنوات). وهو حساب قد يقبل به البسطاء ، بل وربما يسعدون به ، لأنهم لا يُدرجون في أعتبارهم عامل الزمن .

ليست المسألة إذن حساباً ختامياً سنوياً ، أو ميزانية ينتظرها المودعون لكي يحاسبوا بيت توظيف الأموال عليها . وليست شيكاً بأجل ، يملك المودعون التحقق من رصيده ، ويضمنون صرفه في ميعاد محدد. لكنها ست سنوات كاملة.. تذكرنا بقصة جحا والحمار. والقصة بسرعة أن الملك قد أعلن مكافأة كبرى لمن يُعلم الحمار الكلام. وبالطبع ، أحجم الجميع عدا جحا، الذي تقدم ليقبض المكافأة، وأخذ يعلم الحمار . طالباً مهلة لا تقل عن عشر سنوات . وقبل الملك ، واندفع الناس لسؤال جحا عن سبب تطوعه لهذه المهمة المستحيلة . فكان رده أنه خلال عشر سنوات ، لابد وأن واحداً على الأقل من الثلاثة سوف يموت : الملك أو جحا أو الحمار . ونعود إلى

http://nj180degree.com

الحالة صفر السابق ذكرها ، لكي نذكر أنها تتيح ست سنوات كاملة آمنة ، بافتراض أسوأ الأحتمالات ، وبافتراض أنعدام أي تحرك في أي مجال .

عبقرية يجب أن نعترف بها دون أن نحييها أو نرحب بها ، تماماً كما نعترف بعبقرية هتلر ، وننكر في ذات الوقت مقاصده . بـيد أن مزيداً من العبقرية يبدو لنا إذا أنتقـلنا إلى الأحـتمال الثالث ، وهو الأحتمال الممكن أو الواقعي. وهو أحتمال يُبنى على أساس منطقي ، يتمثل في أن التحليل السابق تحليل "ساكن " . يخالف الواقـع مخالفة تامة. فقد أثبتت التجربة أن حجم المدخرات يتزايد عاماً بـعد عام ، وأن مبرر هذا التزايد هو دفع نسبـة الفائدة العالية . وأن المائة جنيه السابق ذكرها في المثال الأخير ، لن تبقـى مائة جنيه كما هي لمدة ست سنوات ، بل سوف يتم ايداع مبلغ أكثر منها في السـنة التالية ، ١٢٠ جنيه مثلاً . وإذا تم دفع الفائدة العالية، فإن المتوقع أن يُودع في السنة الثالثة ١٥٠ جنيهاً جديدة . وفي السنة الرابعة لن يقـل الإيداع عن ٢٠٠ جنيه جديدة. لأن من أستمروا أربع سنوات، سوف يملأون الدنيا صياحاً بأنهم حصلوا على ما يعادل نقودهم أرباحاً . ورغم ذلك فنقودهم كما هي ، وأرباحهم مستمرة .

ما معنى ذلك ..

معناه أن أصحـاب المائة جنيه الأولى كان أمامهم مهلة سـتة سنوات . وفي السنة التالية عندما تم ايداع ١٢٠ جنيه ، أصبـح أمام

http://nj180degree.com

الـ ١٢٠ الجديدة ، ست سنوات جديدة . وأصبح أمام المائة جنيه الأولى سبع سنوات. وفي السنة التي تليها، أصبح أمام الـ ١٥٠ جنيه الجديدة ست سنوات . وأمام أصحاب الـ ١٢٠ جنيه سبع سنوات . وأمام أصحاب المائة جنيه الأولى ثماني سنوات . ولا أريد أن أدخل في تعقيدات حسابية ، بل أكتفي بذكر أن عائد السنة السادسة (الذي يُفترض أنه لن يدفع) يُمكن إكماله بعائد السنة السادسة للمبلغ الجديد المدفوع في السنة التالية ، طالما أنه أكبر . ونفس الموقف ينطبق على المبلغ الجديد عند إيداع مبلغ أكبر في العام التالي وهكذا ..

مرة ثانية ما معنى ذلك ..

معناه أنه يُمكن الأستمرار إلى ما لا نهاية في دفع معدلات الأرباح العالمية ، طالما أستمرت العجلة في الدوران بمعدلات أسرع . وحتى لو توقفت تماماً ، فليس قبل خمس سنوات كاملة يمكن أن يهتز موقف البيت . وخلال هذه السنوات يمكن أن نتأمل قصة جحا ونبتسم ..

وبالإضافة إلى ما سبق ..

ثلاثة أمور غاية في الأهمية ، أولها أن الفروض القاسية للحالة مصر ، تكاد تبدو مستحيلة وشديدة التشاؤم . فالفائدة السائدة أعلى من ٩% (١٣% ومتوقع أرتفاعها) . ووسائل تحويل العملة قائمة . وهناك فرصة متاحة بأستمرار لتحريك الأموال وأستثمارها أو إدخارها في التجارة ، ولو بأي نسبة وبمقابل أي عائد . لأن أي

http://nj180degree.com

عائد مهما ضعفت نسبته . يُمكن أن يُحسّن الصورة . ويطيل أجل الأستمرار .

وثانيها أن هناك تحركاً حكومياً لمواجهة شركات توظيف الأموال ، لأسباب سوف نناقشها فيما بعد . ومثل هذه التحركات أو التحرشات ، ليست شراً كلها من وجهة نظر بيوت التوظيف . بل يُمكن توظيفها في الوقت المناسب للأحتجاج بها عند التوقف أو الأنسحاب من السوق ، أو مطالبة المودعين بالمشاركة في تحمل الخسائر .

وثالثها أن المودعين أنفسهم سوف يُصبحون خط الدفاع الأول عن البيت . ووقت أن كانت الإيداعات مليار جنيه ، ومتوسط الإيداع عشرة آلاف جنيه ، فإن معنى ذلك أنه كان هناك مائة ألف مودع أو مائة ألف أسرة . أي مصالح تتعلق بنصف مليون مواطن ، قابلين للزيادة مع أستمرار دفع الأرباح . مُشكلين قوة ضغط تدفع الحكومة إلى أن تفكر ثم تفكر ، ثم تعلن أنها سوف تأخذ قرارات حاسمة . وبينما هي تعلن ذلك ، إذا بها تفكر ثم تفكر ، الأمر الذي يدفعها إلى نشر أخبار عن قوانين في الطريق للصدور . وهي قوانين دفعت المسئول عن إصدارها إلى أن يفكر ثم يفكر .. وهكذا ..

http://nj180degree.com

التنوع والتمايز في أساليب البيوتات

وأخيراً تم اتخاذ القرار . وقرر بيت الريان الاستمرار ، بعد أن استكملت معالم نظريته في جمع المدخرات، من خلال التجربة، والتقاضي أسوأ الفروض. وكان مُوجز نظريته على النحو التالي :

١- نحن في أمان مُطلق في كل الأحوال ، لأن صيغة التعاقد بيننا وبين المودعين تعفينا من المسئولية في كل الحالات . ويزداد أماننا بزيادة عدد المودعين ، حيث يُصبح وجودهم ، وحصولهم على دخل ثابت ، يمثل مصدر مواردهم الرئيسي ، خط دفاع أساسي ، يدفع الحكومة إلى الحساب مرة ومرتين ، والتردد قبل اتخاذ قرار مضاد لو مؤثر في أساليب عمل البيوت . وحتى لو اتخذت الحكومة مثل هذه القرارات ، فإنها يُمكن أن تكون مبرراً لنا لضرب أكبر (بُمْبَة) في تاريخ مصر الاقتصادي . وساعتها سوف يصدقنا الجميع ، حين نشير بإصبع الاتهام إلى الحكومة . فقد كنا ندفع التزاماتنا على داير المليم ، قبل قراراتها المشئومة . وباختصار ، فإن المكسب مضمون ، على كل وجه وكل لون . والأمان مكفول ، في كل المواقف ، وفي مواجهة كل الحلول .

٢- القليل نادر من الاستثمار يُصلح المعدة ، وكثير منه يفسدها . لأنه يضع أموالنا تحت ضرس الحكومة ، ويضع رأسنا تحت قواعد

http://nj180degree.com

روتينها المهولة ، ويُدخلنا في متاهات الضرائب والجمارك ورسم الأيلولة ، ويحرمنا متعة النوم في القيلولة . بينما العكس صحيح . فكلما زادت في أيدينا السيولة ، وقع المسئولون في حيص بيض ، وأحتاروا بين من يحدثهم عن الخطط المُدبرة المهولة ، وبين من يحدثهم عن أمنا الغولة . وبين من يفهم في الأقتصاد ، وبين منيفهم الفولة . وأمتنع عليهم نوم القيلولة وغير القيلولة .

٣■ إمكانياتنا الجديدة تقتضي حسابات جديدة ، لا تغفل تأثير الإعلام ولا إمكانيات شراء الأعلام . وتفتح لنا الباب على مصراعيه للسيطرة على أسواق سلع إستراتيجية ، مثل الذرة الصفراء واللحوم والحديد والأخشاب والأسمنت والورق وغيرها من السلع الحيوية . وساعتها يُمكن أن تتغير الأوضاع ، وتتقلب الأمور .

وربما دار الحوار التالي في مكتب الريان :

– واحد يا أفندم نفسه يكلم سيادتك ، وحلفني أوصله بيك ..

– ما قالش أسمه ..

– لأ يا فندم ، لكن أنا عرفته من صوته ، دا رئيس الوزراء ..

– أنا فاضي يابني ؟. كل شوية يقوللي ألحقني يا حاج مافيش في البلد كيلو لحمة ، ألحقني يا حاج مافيش شكارة أسمنت .. هات السماعة .. أمرنا لله

– .....

KMH

http://nj180degree.com

- أهلا يا سيدي .. متشكرين ..

- .....

- وأخرتها ..

- .....

- وبعدهالك بقى .. ما أنت كل مرة تحلف ..

- .....

- ولو كررتها تاني ؟

- .....

- خلاص يا سيدي ، بس دي آخر مرة ..

.....

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته .

نحن لسنا شركة ، وبالتالي لا نُعاني من مشاكل الأستثمارات والجمعيات العمومية ورقابة الشركات . ولسنا بنكاً ، وبالتالي فنحن لسنا مُطالبين بإيداع نسبة من الودائع بالبنك المركزي أو الأحتفاظ بنسبة من السيولة لمواجهة طلبات السحب . ونحن في النهاية موجودون وغير موجودين . وتفسير ذلك أن وجودنا قائم ، وضخم ، وربما تجاوز حجمه أي حجم آخر . ولكننا نتعامل ساعة الجد ، وكأننا غير موجودين . فلا ضرائب الأرباح تحاسبنا ، ولا ضرائب الإيراد العام تقترب منا . ولا أحد غيرنا يعرف حقيقة حساباتنا ، ولا أرقام الودائع لدينا ، ولا أسماء المودعين . ورغم أن المدخرات المودعة

http://nj180degree.com

لدينا تفوق المدخرات المودعة في أي بنك ، فإننا لا نخضع لرقابة البنك المركزي . ونجاحنا وأستمرارنا مرتبط بهذه الصيغة الفريدة التي لا تحدث إلا في مصر .. وعمار يا مصر ..

هذا عن الريان ، فماذا عن غيره ؟.

أخترنا الريان للحديث عنه تفصيلاً لأنه الأكبر . ولأنه صاحب الفضل في تطوير أساليب تجميع الأموال . وصاحب المبادرة في أبتداع نظرية (الملعوب) والتي شجعت تلميذه السابق (المحاسب) أشرف سعد على تأسيس بيت السعد ، وشجعت آخرين على الدخول في المعمعة، وأغلبهم من صغار السن ، أجتذبهم الملعوب، وأغرتهم حساباته ، فإذا بنا نسمع عن الهدى مصر، والهلال، وبدر، وسينفاد، وسي آي سي، وغيرها كثير .

وعلى الرغم من أن كل هذه البيوت قزمية بالنسبة للريان والشريف، إلا أنها تساهم في التأثير على المناخ الفكري والأقتصادي والسياسي العام ، من خلال ما تُتفقه على الدعاية المكثفة . وقد تأكد لدينا أن هذه البيوت لا ترتبط ببعضها البعض بعلاقات تعاون ، بل إن العلاقات بينها أقرب إلى التنافس والصراع ، وتبادل أسوأ التمنيات . وهو ما ينعكس على تفاوت أساليبها وتنوع أجتهاداتها .

تتنوع وتتمايز أساليب البيوتات من ناحيتين : الأولى ما يتعلق بموقفها من توجيه المدخرات إلى مجال الأستثمار، أو الأحتفاظ بها سائلة مع بعض الأستخدامات السريعة في المضاربة أو تجارة

http://nj180degree.com

العملة أو تمويل بعض الصفقات . و الثانية ما يتعلق بالموقف من المشاركة السياسية ، سواء من حيث المشاركة أو عدمها . وفي حالة المشاركة، فإن المواقف أيضاً تتمايز من حيث تأييد الأتجاه الحكومي، أو تأييد المعارضين له بصفة عامة، أو تأييد الأتجاه السياسي الإسلامي على وجه الخصوص .

http://nj180degree.com

البيوت والأستثمار

لو تصورنا خطاً أفقياً مستقيماً ، أحد طرفيه ، وليكن الطرف الأيمن، يُمثل موقف " الأتجاه إلى الأستثمار وتحاشي السيولة ". بينما الطرف الأيسر ، يُمثل موقف " الأتجاه إلى الأحتفاظ بالسيولة وتحاشي الأستثمار " . وحاولنا ترتيب بيوت توظيف الأموال بين هذين القطبين أو الطرفين . لوضعنا الهلال على نهاية الطرف الأيمن ، يليها الشريف. ولوضعنا الريان على نهاية الطرف الأيسر، يليها السعد .

ولرتبنا باقي الشركات فيما بين الطرفين .

وكل من الموقفين : أستثمار أولاً ، أم السيولة أولاً يمثل فلسفة عمل مرتبطة بطبيعة النشأة . فإذا تناولنا بيت الهلال (وللهلال قصة سوف نذكرها في موقعها من السرد) سنجد أن صاحبه محمد كمال عبد الهادي، مهندس عانى من مشكلة غريبة عام ١٩٨٧، هي رفض أوراق ترشيحه لمجلس الشعب ، لأن عمره أقل من ثلاثين عاماً . وقد بدأ نشاطه بمطبعة صغيرة يملكها والده ، أستطاع تطويرها وتوسع فيها، وشارك في نفس الوقت في بعض عمليات المقاولات . حتى تمكن من كسر حاجز المليون جنيه ، والخروج بمطبعته من دائرة المطابع الصغيرة ، إلى المطابع ذات الإمكانيات الكبيرة . ومع

http://nj180degree.com

نجاحه في مجال الطباعة ، بدأت قصته مع توظيف الأموال ، حتى النهاية المؤلمة التي سوف نسرد قصتها فيما بعد . ومن الواضح أن نجاح كمال عبد الهادي في الأستثمار في بداية حياته العملية ، كان دافعا له إلى تبني نظرية مضمونها أن أخطر ما يحدث لرجل الأعمال ، أن ينام وهناك قرش سائل في خزائنه . لأن معنى ذلك أنه قرش مُعطل، لم يُستخدم ولم تتم الأستفادة منه . ولعل هذا الأسلوب ، مع حمدنا له وتقديرنا لمضمونه ، هو الذي أودى بكمال وبشركة الهلال كلها فيما بعد . لأنه حاول أن يتعامل كشركة ، بينما أسلوب توظيف الأموال ، أقرب إلى التعامل البنكي . وفي غياب السيولة اللازمة لمواجهة أحتياطات السحب (إضافة بالطبع إلى عوامل أخرى جانبية) ، أنهار البيت ، وأنكشف موقفه المالي ، وحدثت الكارثة.

ولعل بيت الشريف أقرب بيوت توظيف الأموال إلى بيت الهلال، من حيث أستخدام نسبة كبيرة من المدخرات في أستثمارات حقيقية . بينما يتربع بيت الريان على مقعد الصدارة في الطرف الآخر ، موجها أقل من ٥% من الودائع المُتاحة لديه إلى الأستثمار . ويزعم بعض الخبثاء أن نسبة ما يوجهه إلى الأستثمار ، يُمثل زكاة المال (ر ٢%) . حيث لا تتجاوز أستثماراته الحقيقية ١٠٠ مليون جنيه ، بينما يحتفظ بباقي الودائع في صورة مدخرات سائلة ، تطبيقا لنظريته التي سبق وعرضناها . ويليه في هذا المضمار بيت السعد . ولعل الماء أيضا هي التي حكمت موقف البيتين ، حيث أرتبطت نشأة

http://nj180degree.com

ملاكهما بتجارة العملة . الأمر الذي ربط في عقلهم الباطن ، وعقلهم الظاهر أيضاً ، بين البركة (وهو الأسم المفضل لديهم للأرباح غير الأعتيادية) وبين توافر السيولة النقدية في أيديهم ، ونأيها عن التجمد في أصول أو حتى منقولات غير سائلة .

http://nj180degree.com

البيوت والسياسة

قبل الدخول في تفصيلات المعلومات المتاحة ، يخطر في أذهاننا تساؤل عن بعض المصادفات السعيدة ، مثل بدء أصحاب بعض الشركات لحياتهم العملية في السعودية ، ومثل حمل بعض رموز التيار الإسلامي الثروي لجنسية مزدوجة مصرية وسعودية . ولأننا لسنا هنا من البداية عدم التحيز ، فإننا نرى في ذلك كله مجرد مصادفة ، ولا نحمله أكثر مما يحتمل وما يعنينا أساساً هو تحليل الممارسات السياسية للبيوت القائمة ، خاصة وقد كان واضحاً في الانتخابات الأخيرة ، أن مطبوعات التحالف ، والخاصة بالإخوان المسلمين ، مثل " الإسلام هو الحل " ، " الإخوان المسلمون على طريق العمل " ، كانت جميعها مطبوعة مركزياً ، وبأعداد هائلة ، بحيث تغطي الجمهورية جميعها . والاختلاف الوحيد كان قائماً بالنسبة للون ، حيث أستبدل اللون الأزرق والأبيض بالأصفر والأسود في بعض المحافظات . وربما كان ذلك تيسيراً للتوزيع . ومن الدلائل ، بالإضافة إلى تجربة شخصية إلي أن أحد البيوت كان من المشاركين في تمويل الحملة الأنتخابية لصالح الإخوان المسلمين . سواء من خلال المطبوعات أو التمويل المباشر ، أو بتقديم خدمات . وعلى العكس من ذلك ، تمثلت الفلسفة الأساسية

http://nj180degree.com

لبيت الريان، في النأى التام عن العمل السياسي المباشر، سواء مع الحكومة أو ضدها بينما أنضم كمال عبد الهادي للحزب الوطني، وساهم بصورة واضحة في تمويل الحملة الأنتخابية لأحد رموزه (رئيس المجلس الأعلى للشباب والرياضة في دائرة شرق القاهرة). وراودته الأحلام بترشيح نفسه على قوائم الحزب الوطني، ولم يمنعه الا صغر السن. اما السعد، فقد تمثلت نظريته في أن (يد الحكومة طرشة)، وأن عليه أن ينأى بنفسه عن معترك السياسة لكنهم إذا أصروا أو ألحوا، فلا مانع من التبرع في أضيق الحدود، وبمنطق التأمين وليس المشاركة. أما باقي أصحاب شركات توظيف الأموال، وهي التي نعتبرها قزمية بالمقارنة بالكبار، فقد تنافس أصحابها في شراء صفحات إعلانية كاملة، تظهر فيها صورهم، وبعضهم لا يزيد عمره عن ثلاثين عاماً، ويضع على رأسه كمية لا بأس بها من البريل كريم، ويتصور نفسه، وله حق مادام قد جمع هذه الملايين في هذا العمر، نقول إنه يتصور نفسه طلعت حرب. فيُفتي في وضع الحلول للأقتصاد المصري، والغمر في هروب المقترضين بأموال البنوك (وهذا موضوع يستحق المناقشة لولا الخوف على القارىء من التشتت). وبعضهم تصور أنه فجر قنبلة الموسم الأقتصادية، فأخذ صورة من الشيخ الشعراوي على باب الشركة. وطبعاً يُصبح من الغباء أن يتساءل أمثالنا عن العلاقة بين فضيلة الشيخ الشعراوي والأقتصاد.

http://nj180degree.com

وبصورة عامة، فإنه من الواضح أن موقف بيوت توظيف الأموال من السياسة ، موقف أجتهادي . تتباين فيه الأجتهادات ، ولا يربط بينها خط واحد ، سواء كان فكرياً أم سلوكياً . لكن تبقى ثلاث ملاحظات على جانب كبير من الأهمية تتمثل فيما يلي :

اولا : إن قوة اقتصادية بهذا الحجم ، الذي فاق أي حجم مُتخيل ، لا يمكن أن تظل بدون تعبير سياسي إلى الأبد . هذا مستحيل ، وضد طبيعة الأمور . والمسألة في تقديرنا ليست أكثر من مسألة وقت . وإذا كان نجاحهم في بداياتهم وحتى الآن ، نتيجة لنأيهم عن السياسة. فإن أستمرار هذا النجاح ، مرهون في تصورنا ، بمدى تأثيرهم على القرار السياسي . ونعتقد أن هذا قد أصبح واضحاً في تصورهم أيضا . ومن المنطقي أيضاً مع الشعارات التي يرفعونها ، والمتمثلة في البركة ، والربح الحلال ، والألتزام بالمنهج الإسلامي في المعاملات ، أن يصب أنتماؤهم السياسي في مجرى التيار السياسي الإسلامي ، وأن يصبحوا في مجموعهم أخطر روافده ، وأكثرها نجاحا وأعمقها تأثيراً .

ثانيا : إن تنامي الثروة ، تحت أي قدر مُتاح من الحرية الأقتصادية له حدود وضوابط ، إذا تعداها أصبح خطراً . ليس لأن لديه عادة ، أو لكون أسنانه قاطعة ، ولكن لأن حجمه نفسه قد أصبح له أعدائه ، ودخل بصاحبه إلى دائرة المحظور . وعلى سبيل المثال، فإنه لا يستطيع أن تقنعني بالتعايش في الغرفة مع كلب لولو ، أو قط

http://nj180degree.com

سيامي ، لكنك لا تملك إقناعي بالمعيشة فيها مع ديناصور ، بحجة أنه أليف ، لطيف ، لا يستطيب لحم الآدميين . وباليقين فإن ردى على هذه الحجج سوف يتلخص في عبارة واحدة " مستحيل ، إنه ديناصور " .

هذا المثال البسيط ، الطريف ، بل وربما الساذج أيضا، ينطبق على موقف الدولة ، أي دولة ، من الثروة ، أي ثروة ، إذا تعدت حدوداً معينة . وبديهي أن تنزعج السلطة الحاكمة في مصر أشد الأنزعاج ، وهي تقرأ في التقارير المرفوعة إليها ، أن أحد بيوت توظيف الأموال (الريان) قد تجاوزت ودائعه رقم الستة مليارات .

معذرة هنا للقاريء إذا ذكرنا له أن فوائد ديون مصر العسكرية المستحقة للولايات المتحدة الأمريكية ، تدور حول هذا الرقم . وهي الفوائد التي حارت فيها البريّة ، وهدد التوقف عن سداد أقساطها أقتصاد مصر ، ولم يزد مطلب مصر عن إعادة النظر في أمكانية خفضها . فإن لم يكن، فليس أقل من إعادة جدولتها . وهو أمر محل بحث وشد وجذب وأخذ وعطاء . ومالنا نذهب بعيداً ، والواقع الداخلي أقرب إلى الأذهان . فصاحب هذه الثروة يملك أن يشتري أي قطاع في مصر . ومرة أخرى أكررها حتى لا يظن القاريء أنها غلطة مطبعية ، أقول يشتري ، ولا أقول يتحكم أو يؤثر . فلو قرر الريان أن يشتري جميع مزارع الدواجن في مصر لأستطاع . ولو قرر شراء جميع الأراضي الزراعية جنوب أسيوط لأستطاع . ولو قرر شراء جميع وسائل النقل الداخلي في مصر لأستطاع . وهكذا .

KMH

http://nj180degree.com

كيف يمكن لأي نظام أن يتعايش مع هذه الثروة التي يملكها في الواقع ، ويديرها ويتحكم فيها بلا رقيب ، ثلاثة أشقاء ؟.

إن الثروة هنا ، بتعديها حجماً معيناً ، يصبح لها مدلول سياسي ، حتى ولو لم تقصده . وتعبير سياسي ، حتى ولو لم تتفوه به . وتأثير سياسي ، حتى ولو لم تتعمده . ووجود سياسي ، حتى ولو أنكرته .

ثالثاً : إن هناك أخطاراً للتنامي الهائل في حجم الثروات ، يتمثل في توظيفها ، ليس اقتصادياً أو مالياً ، وإنما سياسياً . فليس سراً أن رائداً سابقاً لرئيس الوزراء يعمل مستشاراً لدى أحد البيوت . وأن وزيراً سابقاً للاقتصاد يعمل مستشاراً لبيت آخر . وأن وزيراً سابقاً للداخلية أغرته لعبة التشهيلات السريعة لأصحاب البيوت ، مثل مشاكل السفر والجوازات ، والمشاكل مع الشرطة . وأن محافظاً سابقاً يعمل مديراً لأحد مشروعات الإسكان في بيت ما . بينما يلاحق علامات الأستفهام محافظاً سابقاً آخر . ناهيك عن أشقاء المحافظين ، وأقارب كبار المسئولين . وإذا كان هذا هو ما يظهر على السطح ، فإن ما يخفي بالتأكيد أعظم . وكل طرف له حجته . والشركات حجتها أنها تسهل أعمالها ، وتشهل مصالحها . والكبار حجتهم أن الفراغ المعاش والجدة ، مفسدة للمسئول السابق ، أي مفسدة . وأن البطالة تصيبهم بالأزمات القلبية والأكتئاب النفسي . فما لهم المرتب أو المكافأة ، التي يُمكن أن تصل إلى عشرة آلاف جنيه شهرياً وربما تتجاوز ذلك ، لها أعتبارها بالتأكيد (وإن كانت حجتهم ليست العامل الأول أو الأساسي) . بيد أن المشكلة لا

http://nj180degree.com

تتعلق بالسابقين ، وإنما تتعلق باللاحقين ، ممن يتوقعون أن يصبحوا سابقين عما قريب . وفي مناخ سياسي كالسائد في مصر ، ينتاب هذا الشعور أغلب المسئولين الكبار . ومنذ عشر سنوات كان المعتاد أن يضع المسئول الكبير نصب عينه، أن يكون عضواً بالمجالس القومية المتخصصة، أو مجلس الشورى . فلما ترسخ الأنفتاح ، بدأ التطلع لمجالس إدارات البنوك الأستثمارية . ومع رسوخ بيوت توظيف الأموال ، لا نستبعد أن يجلس المسئول الكبير في مكتبه ، وفي يده وردة ، مردداً وهو يقطف وريقاتها : الريان – الشريف – السعد – البركة – بدر . ولا نستبعد أن يرد على من يبشره بأن مكانه في الشورى محجوز بقوله : يا عم كفانا فقراً ، العيال كبرت .

من الذي يصمد من المسئولين الحاليين لوعد بوظيفة رسمية أو (استشارية) في هذه البيوت ؟. ومن الذي يتماسك أمام إغراء الأرقام التي تحتل أربع خانات ، في مناخ يتيح فيه الروتين أن يُصبح كل شيء ممكناً ، وكل شيء مستحيلاً ، في نفس الوقت ؟.

وكيف يُمكن أستبعاد المفردات السياسية في التحليل أو التفسير ، ونحن نشهد رياح التوظيف تهب من كل صوب ، وفي كل أتجاه . فالحملات الإعلانية الهائلة مؤثرة في الصحف ، وبعض الصحفيين الكبار لا يخفون حصولهم على عمولاتها . والتعاقد مع المؤسسات الصحفية على طباعة الكتب بالملايين . والتلويح بالقروض (الحسنة) لصغار الصحفيين وارد . وتوظيف القيادات الحزبية المعارضة ، أو أقاربها قائم . وهكذا .

http://nj180degree.com

النجاح المؤكد

علينا أن نعترف بأن بيوت توظيف الأموال قد قلبت النظريات الاقتصادية رأساً على عقب . فالسائد المعروف اقتصادياً ، أن آفة الدول النامية ضعف طاقتها الأدخارية . وأنها عادة تلجأ للأقتراض من الخارج لتمويل الأستثمارات ، كبديل عن عجز المدخرات المحلية . ولا تفسير لما حدث في مصر على يد بيوت توظيف الأموال إلا بأحد أمرين : أولهما أن تكون مصر قد أصبحت دولة متقدمة وغنية دون أن ندري . وثانيهما أن تكون مصر حالة خاصة لا يصلح معها تطبيق القواعد الأقتصادية الجامدة . والأمر الثاني أقرب وأدق ، بين أن ما حدث في كل الأحوال يُمثل نجاحاً لاشك فيه لبيوت الأموال في تجميع المدخرات ، بطاقة هائلة في زمن قياسي.

إن تساؤلاً هنا يبدو منطقياً ، عن حجم هذه المدخرات . وهو سؤال لا يخلو من خبث . لأن التقديرات الرقمية المُعلنة هي ١٤ مليار ا ، والأختلاف الوحيد (البسيط) يتمثل في صفة هذا المليار . حيث ترى الحكومة أنه (مليار جنيه) ، بينما تؤكد مصادر أخرى بأنه (مليار دولار) . والفرق بين ١٤ مليار جنيه . و١٤ مليار دولار ، يتمثل في أن التقدير الثاني يعادل مرتين ونصف التقدير الأول ، حيث يبلغ نحو ٣٥ مليار جنيه .

والحقيقة أن الرقم الحقيقي غامض . خاصة وأن الأخذ بالرقم

http://nj180degree.com

الأصغر كنوع من التحوط ، يصطدم بميل أصحاب البيوت إلى إعلان الرقم الثاني (المرتفع) على الرغم من أن المتوقع أن يحاولوا خفض الرقم لا رفعه . خاصة في مواجهة الحملات الإعلامية المضادة . وآخر التصريحات الإعلامية، أو الإعلانية إن شئنا الدقة، وهو تصريح نبيل زكي رئيس مجلس إدارة شركة سينفاد (المصرية السعودية) ، بأن الإيداعات في بيوت الأموال تبلغ ٥ر١٢ مليار دولار . ولا بأس هنا من وقفة سريعة وطريفة ، حين يكتشف القاريء معي أن نبيل زكي مالك ورئيس مجلس إدارة الشركة المذكورة ، مسيحي الديانة . وبالطبع فإن مثلي لا يحصل في وجدانه أي مشاعر ، أو حتى شبهة تعصب ، أو تفرقة بين المواطنين، بسبب الدين . لكن الأمر هنا هام من ناحية أخرى ، وهي ما شاع عند بدء نشاط بيوت التوظيف ، ومازال يشاع عن كونها بيوتاً إسلامية ، تستهدف تطبيق منهج الأقتصاد الإسلامي . ووجود نبيل زكي على رأس أحد هذه البيوت ، يؤكد لدينا ما نعتقده من أن المسألة في النهاية أقتصاد ، وبزنس ، قبل أن تكون إسلاماً وبركة .

المهم أن التقديرات لحجم المدخرات واحدة رقمياً ، ومختلفة لفظياً حول كونها بالدولار أم بالجنيه . ونحن أقرب إلى قبول التقدير الحكومي ، والمتمثل في أنها ١٤ مليار جنيه . نصفها تقريباً مُودع في الريان ، وربعها تقريباً مُودع في الشريف ، وباقيها موزع على باقي البيوت ، وإن تصدرها السعد . وأن نجاح البيوت في جمع هذا الكم الهائل من المدخرات محسوب لها وليس عليها ، ونجاح لا شك

http://nj180degree.com

فيه ، لو لا أن الأشياء الجميلة لا تكتمل كما يقـولون ، بـل وتنعكس أحيانا كما سوضح . ومثلي ممن ضيع في الأقتصاد عمره ، لابـد و أن يسلم من خلال تجربة بيوت توظيف الأموال ، بأن سعر الفائدة المصطنع، مثله مثل سعر العملة المصطنع ، يؤدي إلى نتائج عكسية دائما . و أن سعر الفائدة الحقيقي ، لابـد وأن يتجاوز معدل التضخم السائد ، أو يقترب منه على أسوأ الفروض . ولعل هذا هو ما أدركه أصحاب البيوت ، وما أنكرته الحكومة . وما قـاد إلى نجاح الأول فيما فشلت فيه الثانية . ولو رفعت الحكومة سعر الفائدة في بـنوكها إلى ١٨% وليس ٢٠% (على العملة المحلية) ، لناقصت البيوت في هذا الكم الهائل من المدخرات . لكن تقول لمن ؟.

http://nj180degree.com

هذا عن النجاح فماذا عن الكوارث ؟

نعم كوارث . لا أتجنى في هذا ولا أتجاوز . وأعددها أمام القراء كارثة كارثة . وأميز فيها بين كوارث الأفراد ، وكوارث الدولة . وإذا كانت كوارث الأفراد تهم ، وتؤثر على المتعاملين .

فإن كوارث الدولة تعم، وتؤثر على المتعاملين وغير المتعاملين، ولعل بعض القراء يتململون من لفظ " كوارث " . ويتصورنه دليلا على موقف مُسبق بالعداء . ولعلهم يرددون ما ألفنا سماعه من أن هذه الشركات تفتح بيوتاً قائمة ، وتوفر دخولاً ثابتة ، وترتبط بها مصالح أفراد وأسر ، ويتعيش من ربحها الأرامل واليتامى والقاعنون . وأنا معهم في كل هذا ، لكني أدعوهم إلى التفكير معي بصوت عالٍ . وإلى التساؤل عن مستوى كفاءة الإدارة ، التي توظف مليارا فأكثر . وسبب التساؤل أننا نعيش في مصر ، حيث الإدارة هي عنق الزجاجة في نجاح أو فشل المشروعات . وحيث تعودنا أن نفرد في الدراسات الأقتصادية للمشروعات الجديدة ، باباً كاملاً لأسلوب الادارة المقترح . وأن نفيض في دراسة أساليب تدفق المعلومات ، ووسائل الرقابة ، نماذج الدورة المستندية ، لمشروعات لا يتجاوز حجمها مليونين أو ثلاثة . وتعودنا أيضاً أن نُفاجأ بفشل أغلبها . لأسباب تتعلق بالقصور الإداري .

هذا عن المليون أو الأثنين أو الثلاثة ، فماذا عن الألف مليون

http://nj180degree.com

و الألفين مليون و الثلاثة آلاف .. بل و الستة آلاف ..

أي جهاز إداري يُدير هذا المبلغ ، مستثمراً في عشرات المشروعات (إذا أستثمر؟.) ولو كان المبلغ مملوكاً لصاحب الشركة لقلنا إنها أمواله ، وإن له كل الحرية في إدارتها كما يرى ، أو حتى خسارتها كما يشاء . لكنها أموال الغير . الأمر الذي يُلقي على كاهل الإدارة عبئاً أكبر ، خاصة وأنها مُطالبة أول كل شهر بدفع مبالغ هائلة ، المفروض ، تكرر اللفظ مرة أخرى (المفروض) أنها من عائد الأستثمارات . وبصورة أكثر تحديداً ، فإنه لو صحت الأرقام المودعة لدى ، الريان لأصبح لزاماً عليه أن يدفع أول كل شهر ١٢٠ مليون جنيه (مائة وعشرين مليون جنيه مصري فقط لاغير) ، كأرباح للمودعين لديه، يغطيها عائد (وليس رأس مال) المشروعات المقامة ، و التي لا يصل رأس مالها في الواقع إلى هذا الرقم .

لقد أتيحت لي الفرصة للأقتراب من أحد هذه البيوت ، و عاصرت وقتها مشكلة طريفة لا بأس من عرضها على القاريء . فقد عين صاحب البيت محامياً كمستشار قانوني له ، وكان معروفاً عن هذا المحامي أنتماؤه لفكر جماعات الجهاد ، وسبق أعتقاله لهذا السبب . و ارتأى صاحب البيت أن وجود هذا المحامي ضمن جهازه الإداري ، سوف يحسب له وليس عليه ، ممن ينجذبون إلى بيته بدعاوى الإسلام و العقيدة ، وطيب الربح وحلال المال . وكان المحامي مُغرياً ، و الأمتيازات شديدة الجاذبية . وصدق المحامي الشاب دعاوى صاحب البيت ، فأوقعه في مشكلتين بذل عناء بالغا

http://nj180degree.com

في التخلص منهما . أما الأولى فكانت عندما دعا صاحب البيت شخصية سياسية هامة لزيارته ، وحان موعد صلاة الظهر ، فدعا المسئول الكبير للصلاة ، وإكراماً له دعاه للإمامة . وما أن أنتهت الصلاة وأستدار الإمام (المسئول) للسلام ، حتى فوجيء وفوجيء معه الجميع ، بأندفاع المحامي الشاب من آخر الصفوف ، لائماً صاحب البيت على سماحه بإمامة الكافر لصفوف المسلمين . واضعاً إياه في حرج ربما لم يخلص منه حتى الآن .

أما المشكلة الثانية فهي التي تعنيني في الحديث عن الإدارة . وقد حدثت حين طالب المحامي الشاب صاحب البيت بإعلامه عن أساليب توظيفه للأموال ، حتى يُفتي بشأن حلها أو حرمتها ، خاصة وأنه لا يجد في الأوراق والمستندات والدفاتر ، أي حسابات لمشروعات إنتاجية تدر عائداً ، أو أنشطة تجارية تجلب ربحاً . وهنا حدثت الثورة العارمة من صاحب البيت ، الذي جمع العاملين لديه جميعاً ، وأعلن لهم أن حساباته كلها لها مكان واحد تُودع فيه ، وأشار إلى رأسه . وأن أحداً لا يملك سؤاله أو مناقشته . وأن أعماله أسرار ، وأنشطته أمور خاصة . وأن أقصى ما يستعين به نوتة صغيرة يحتفظ بها في جيبه ، ولا يسمح لأحد كائناً من كان بالإطلاع عليها . وأن من يعجبه يبقى ، ومن لا يعجبه فالباب يسع جملاً . وقد بلعها المحامي الشاب ، وأنتهى به المطاف إلى الأستقرار في قريته والتفرغ للعبادة والإفتاء بين أفراد أسرته ، تاركاً إيانا في حيرة بالغة بشأن هذا الرجل الذي يُدير أكثر من مليار ، بنوتة ثمنها عشرة

http://nj180degree.com

فروش يضعها في جيب الجلباب ، ويقضي وقته – بـــارك الله فيه – متنقلاً بين أطايب الطعام وحديث (بـــمعنى جديد) الزيجات . وهو في هذا لا يرتكب جُرماً لا حراماً، وإنما يستمتع بنعمة الله عليه وهو ، يفضل من الله ونعمته . مبتسم دائماً ، لا يحمل هماً لشيء ، ويحـــمل قدراً من الثقة بالنفس لا حدود لها . وكيف لا ، وقد تجاوز المليار قبل أن يتجاوز الخمسة والثلاثين عاماً من العمر ؟.

وقد حدثني صديق يملك مشروعاً منتجاً ، وقد أرهقـــته ديون لا ذنب له فيها بقدر ما كان الذنب للروتين الحكومي ، وفكر في التخلص من دينه ببيع حصة من مصنعه لصاحب البيت المذكور . وبعد جهد جهيد ، أعطاه صاحب البيت موعداً في منزله ، وذهب الصديق وهو يلبس أفخر ما عنده ، ويتعطر بأغلى العطور ، ويجمع شـــتات ذهنه بقدر ما يمكنه ، حتى يحاور هذا العبقري الجهبـــذ . وفوجيء عندما ضرب الجرس بالعبقري الذي تملأ صوره الإعلانات باللباس (وقد اخترنا اللفظ العامي، لأنه فصيح وموحي في ذات الوقت). نعم قابله باللباس ، بارك الله فيه . وجلس الصديق مرتبكاً ، وبدأ يُلقي حـــديثه المرتب ، الذي قضى الليل في تنميقه . فإذا بصاحب البيت يُقاطعه ، بفسحة طويلة عن الجيران الذين لم يحـــتملوا صوت الريكوردر لأنه يذيع القرآن الكريم طوال الوقت وبـــصوت مرتفع . وأنه اضطر هو وزوجته أن يجلسا وفي آذانهما سماعات ، حتى لا يضايقوا الجيران . ولرفع صوته ضاحكاً ، واضطر صديقي لمشاركته الضحـــك على أنغام الموسيقى الخفيفة التي كانت تتبعث من سماعات خفية . وقف

http://nj180degree.com

بعدها صاحب البيت (باللباس) لكي يصافح صديقي مودعاً ، طالباً منه المرور على فلان لمناقشة الأمر . وعندما سأله صديقي عن أحتمال الأتفاق كانت إجابته : على البركة ..

نعود إلى موضوع الإدارة ، ليس بالحوافز ، ولا بالأهداف ، وإنما باللباس هذه المرة . وبالنوتة الصغيرة التي لم تصل إلى مستوى ما يسميه المحاسبون (النوتة الزفرة) ، وهي النوتة التي يقيدون فيها الوارد والصادر تمهيداً لنقله إلى الدفاتر المنتظمة . ونتساءل مرة أخرى عن أساليب إدارة ما يزيد عن المليار جنيه . وهي أساليب لا تخرج عن أسلوب من أسلوبين : الأول ما يحدث في الولايات المتحدة والدول المتقدمة ، حيث يوجد متخصصون في إدارة هذا الحجم من الأستثمارات ، معروفون بالأسم ، ويتخاطفهم رجال الأعمال ، وتُدفع مرتباتهم بالملايين . أما الأسلوب الثاني ، فمتروك للقارىء تسميته . أما وصفه فيدور في إطار ما أسميناه بالملعوب ، وبالحالة صفر . وفي الحالتين ، حالة الإدارة بالخبراء ، وحالة الإدارة (باللباس) ، يُشاهد صاحب المشروع مبتسماً . في الحالة الأولى لأنه مطمئن . وفي الحالة الثانية لأنه (مطمئن إلى حين) ..

هذا عن التساؤل الأول بشأن الإدارة، وهو تساؤل إجابته مؤرقة، ولسنا في حاجة بشأنها إلى ضرب أخماس في أسداس . فالجميع في الساحة . وبعضهم يحاول الإيهام من خلال إعلانات على صفحات كاملة ، بأنه عبقري العصر والأوان . ولن لديه فصل الخطاب في

KMH

http://nj180degree.com

كل مشاكلنا بدءاً بعلاقتنا بالبنك الدولي ، وأنتهاء بالوفاق الدولي ، ومروراً بأعتزال الخطيب بأعتباره أيضاً لاعباً دولياً . وينتابك الشعور وأنت تقرأ الموضوع ، أنه مفتعل ، ومصنوع ، وأن صاحبه يقرأه معك لأول مرة .

أما البعض الآخر فقد سلط إحدى عينيه على الزراعة ، والعين الثانية على الصناعة ، ولم يأبه بتحذير أطباء العيون من الإصابة (بالحول) . وأكتفى بعضهم برفع إصبعه إلى اعلى . وقد فسر البسطاء هذه الإشارة بالإيمان ، بينما أقسم الخبثاء أن القصد منها ركوب الطائر الميمون إلى اليونان . وما نذكره هنا على سبيل المداعبة أو التفكه ، يمكن أن يتحول إلى مأساة حقيقية . وقد حدث ذلك بالفعل في أكثر البيوت إقداماً على الأستثمار الحقيقي . وهو بيت الهلال . حيث أنفرد كمال عبد الهادي صاحب العمر الأقل من الثلاثين ، بإدارة ما يقرب من أربعين مليوناً من الجنيهات ، دون أن يستمع لنصيحة أحد . فأندفع في مشروعات الأستصلاح ، وهو أمر محمود . ثم أندفع إلى شراء ثمانية مصانع في قبرص ، وهو تفكير سديد ، لو لا أنه يتجاوز إمكانياته المالية . الأمر الذي دفعه إلى محاولة تشجيع توظيف الأموال لديه ، بإعطاء شيكات بقيمة الإيداع للعميل . وكانت النتيجة أن تقلصت السيولة النقدية ، وتسبب شيك بمبلغ ١٨٠ ألف دولار في كشف الموقف المالي للشركة . وبدأت حركة السحب . فتوجهت السيولة الموجودة بالمطابع ومصانع البلاستيك والسوبر ماركت والمزارع ، إلى سداد طلبات السحب .

http://nj180degree.com

ثم عجزت عن الأستمرار في السداد ، وتوقفت الأنشـــطة الإنتاجية كلها في نفس الوقت لأنعدام السيولة .

وأنطلق كمال عبد الهادي إلى الولايات المتحدة ، وظلت مصانع قبرص في قبرص . ولم يكن هناك حل إلا بتدخل الريان للشـــراء ، ووجدها صفقة مربحة لأحتياجه للمطابع . ولأن باقي الأستثمارات منتجة منذ اليوم الأول لشـــرائها بـــمجرد توفير الســـيولة . ودَرَسَ الريان الموقف على الطبيعة ، وقيَّم الأصول الموجودة ، وخرج من التقييم بنتيجة مؤداها أن يدفع لأصحـــاب الأموال نصف أموالهم . بمعنى أن من له مائة جنيه يُصبـــح له خمســـون جنيهاً . ولأنه من المستحيل في مثل هذه المواقف ، أن يتم التحكم في مشاعر الجميع أو أصواتهم ، فقـــد أرتفعت أصوات صغار المودعين بـــصب اللعنات على بيوت التوظيف جميعاً ، وأنهالت ألســـنتهم بالشـــتائم الموجهة للجميع . وذكر لي صديق أن أجتماع المودعين كان مليئاً بالمشـــاهد العجيبة . فهذا رجل يلطم خديه ، وهذه امرأة تضحك بـــصوت عالٍ وبأستمرار . وهذه تصرخ وهذا ينتابه الصرع . أما القصص فحدث ولا حرج . فهذه حماة وضعت المهر في الشركة لحين تشطيب الشقة من وراء العريس ، وهذه أرملة لا دخل لها إلا من الوديعة . وهكذا . وكان منطقياً نتيجة لذلك أن يسحب الريان عرضه . ولم يكتشـــف المودعون أنهم معلقون في الهواء ، لا يملكون الهبوط للأرض ، ولا يحلمون بالصعود للسماء . وأنهم لو تركهم الريان ، فسوف يبيعون له ما يملكون ، لكن البيع هذه المرة سوف يكون في المزاد . فأنهالوا

http://nj180degree.com

عليه بالرجاء ، و أستجاب بعد عناد ، مشترطاً أن لا يدفع لهم إلا بعد موافقتهم الإجماعية ، وبعد مرور خمسة شهور كاملة على هذه الموافقة . و هكذا خسر المودعون نصف أموالهم فجأة ، وكان سوء الإدارة أحد الأسباب، وإن لم يكن أهمها. ولو وجد كمال من ينصحه، ولو وجد من يُلزمه بقبول النصيحة ، ولو وجد من يجبره على الالتزام بالنصيحة، ممثلا في جمعية عمومية للمودعين لو كان شركة ، أو بنكاً مركزياً لو كان بنكاً . لما تجاوز طموحه إمكانياته ، ولما انهار و هو أكثر الجميع أقبالاً على الأستثمار ، و أندفاعاً في مشروعات أجاد فيها الأختيار .

http://nj180degree.com

العقد شريعة المتعاقدين

هناك نوعان من العقود: أولهما في صورة طلب لإدارة الأستثمار (وفقاً لأحكام الشريعة الإسلامية) مع إنابة الشركة في أتخاذ القرار اللازم في شأن إدارة أستثمار هذا المال نيابة عن المودع، وواضح من هذا النص المختصر أن الربح وارد، وأن الخسارة واردة أيضاً . وأن الشركة (أو البيت بتعبيرنا) مفوضة في أتخاذ ما تشاء من قرارات . أما ثاني أنواع العقود فتصدره بيوت أخرى ، ويتضمن الشروط السابقة تفصيلاً وبصورة واضحة . حيث لا يحق للمُودع أن يستفسر أو يراقب أو يستعلم ، عن أسلوب إدارة أمواله . وله أن يتحمل الخسائر ، تماماً كما أن له أن يجني الأرباح . وفي كل من الحالين ، ليس له أن يسأل عن التفاصيل . وواضح أنه بمجرد إيداع العقود ، تنتهي علاقة المودع بها ، وتبدأ علاقة صاحب البيت مختصرة في عبارة (هلاهلا) .

أما سحب المودع لأمواله ، فقد كان مطلقاً إلى أن حدثت أزمة سحب الأموال من بيت الريان ، عقب ما نشر عن خسائره في المضاربة. الأمر الذي دعاه إلى تقييد حرية السحب، وتبعه الآخرون فأصبح لزاماً على من يطلب سحب أكثر من ٢٠% من الرصيد ، أن يقدم طلباً كتابياً مُعداً على نموذج ، يتم الموافقة عليه في مدة أقصاها

http://nj180degree.com

ثلاثة شهور من تاريخ تقديم الطلب. بمعنى أن من يودع ألف جنيه ، ويطلب سحبها ، يأخذ مائتي جنيه فوراً . ويقدم طلباً لسحب المبلغ الباقي ، الذي يحصل عليه خلال ثلاثة شهور . وحتى هذا المبلغ لا يأخذ منقوصاً بما تم صرفه من أرباح خلال العام ، لحين التسوية النهائية للأرباح .

ويرى البعض أن فترة الثلاثة شهور هي الفترة الملائمة لتحديد الموالف ، وألتقاط الأنفاس ، وتجميع السيولة ، إذا كان المبلغ كبيراً . بينما يرى آخرون أنها فترة مناسبة لتدبير الفيزة والإقامة والأرصدة، ونقل الأولاد إلى المدارس ، وربما إجراء جراحات التجميل .

وهنا نتوقف قليلاً أمام من يردون على أي نقد موجه لبيوت توظيف الأموال ، بأنها مثل البنوك . وبأن الأساس فيهما معاً هو الثقة . ولهم نقول أن البنك لا يملك أن يؤخر صرف شيك مقبول الدفع لمدة ساعة ، وليس لمدة ثلاثة شهور. كما أننا في عمرنا المديد، وفي عمر آبائنا وأجدادنا، لم نسمع أن بنكاً أعطى (بُمْبَة) . ويقيناً لن نسمع . لأن للأمور قواعد ، وللسلوك ضوابط ، وللسيولة أحتياطياً . وللبنوك كبيراً أسمه البنك المركزي . وهو كبير نملك أن نرد عليه ويملك أن يُلزم الصغار بالقواعد والضوابط والأصول . ولم يحدث أن استيقظ أحد المودعين من نومه ، وسأل عن البنك ، فأجابوه بأنه في الولايات المتحدة، أو في اليونان، وأنه مع شديد الأسف لن يعود . ولم يحدث أيضاً في تاريخ البنوك أن ذهب أحد المودعين للحصول على أمواله ، فقالوا له يكفي أن تحصل على نصفها ، وأحمد ربنا

http://nj180degree.com

لأنك حصلت على النصف . ولم يحدث إطلاقاً أن انتهز البنك فرصة ايداع أحد العملاء للنقود ، فاستكتبه عقداً يتنازل فيه عن حقه في أستعادتها كاملة ، أو يوكله في أن يفعل بها وفيها ما يشاء . لأنه بنك مبارك . وصاحبه يحتفظ بصورة يقف فيها بجانب مولانا الشيخ الشعراوي.

والحديث عن سرقة أموال البنوك ، وهو حديث متكرر في الإعلانات مدفوعة الأجر لبعض أصحاب البيوت ، مردود عليه بأن الخطأ ليس قاعدة . وبأن الخطأ ذاته له حساباته وله مخصصاته ، فهناك مخصص الديون المشكوك فيها ، ومخصص الديون المعدومة . ولم نسمع أن بنكاً حدثت فيه مشكلة ، ترتب عليها توقفه عن صرف شيكات العملاء أو أستيلاؤه على ودائعهم. لأن البنك في النهاية بنك، وليس بيتاً .

ومادمنا في مجال الرد على بعض ما يُثار ، فإني أذكر أنني قرأت في أحد الإعلانات أن شركات توظيف الأموال موجودة في دول العالم جميعاً ، فلماذا تحارب في مصر ؟ . وشاء القدر أن يكتب الأستاذ سعيد سنبل مقالاً أفتتاحياً عن زيارة السيد الرئيس للسعودية، يذكر فيه حواراً دار بينه وبين مسئول سعودي كبير . سأله الأستاذ سنبل عن شركات توظيف الأموال في السعودية ، فكانت إجابة المسئول الكبير : إننا لا نسمح بها . لأننا لا نسمح إلا بالشركات ذات الكيان القانوني والخاضعة للرقابة . وظل ما نُشر في الإعلان عالقا بذهني حتى ألتقيت بصحفي أمريكي ، وسألته خلال حديث طويل

http://nj180degree.com

... الأ عابراً نصه : هل توجد لديكم شركات تعلن عن أرباح أو فوائد متوقعة تصل إلى ٢٠% وأكثر ، وتعلن في نفس الوقت عن أحتمال الخسارة ؟. وأجابني الصحفي الامريكي بأن هذا موجود في الولايات المتحدة ، وفي مجال المضاربة بالتحديد . وعلقت على إجابته بأندهاش : إذن لديكم أيضاً شركات توظيف أموال مثل الموجودة لدينا . وكانت إجابته : هناك فرق ، لأن كل شيء لدينا واضح ومعلوم ومراقب ، الأسماء ، والمبالغ ، والمضاربات ، والأرباح ، والخسائر . والمسألة في النهاية نوع من المقامرة ، المعلومات فيها متوافرة ، والنتائج غير معروفة أو غير مضمونة . بعكس ما يحدث عندكم ، حيث النتائج حتى الآن معروفة أو مضمونة ، بينما المعلومات غير متوفرة . الأمر الذي يُشكك في أستمرار النتائج على ماهي عليه ، وضمانها في المستقبل . كما أن هناك فرقاً كبيراً آخر ، وهو أن الإقبال على هذا النوع من " المقامرة " أستثناء، وليس قاعدة. ولا يُشكل إلا نسبة شديدة الهامشية بالمقارنة بودائع البنوك ، على العكس مما يحدث عندكم الآن .

المقامرة .. لفظ سقط على رأسي كالمطرقة ، لأنه صحيح . فنحن نفوق على كثير من الشعوب في ميلنا الجماعي للمقامرة . لأن من يقامر في تقديري أحد فريقين : الأغنياء جداً ، والفقراء جداً . أما الأغنياء جداً فيقامرون لأنهم لا يهتمون أدنى أهتمام بالخسارة . وأما الفقراء جداً فيقامرون لأنهم يهتمون أقصى الأهتمام بالربح . ولعل الفقراء يذكرون أنه في أواخر السبعينات ، حدثت ظاهرة مُثيرة أطلق

http://nj180degree.com

عليها أسم نظام القوائم ، وتمثلت في وجود قوائم بعشرة أسماء ، يذهب الفرد فيسجل أسمه مقابل مبلغ معين (عادة عشرة جنيهات) وبمجرد أن تمتلىء القائمة ، يبدأ ملء قائمة جديدة . ومع كل قائمة جديدة ، يتقدم أسمه مركزاً إلى الأمام ، حتى يُصبح ترتيبه الأول ، فيحصل على مبلغ نقدي كبير . ويكون حصوله على هذا الترتيب وهذا المبلغ ، مرهوناً بتشجيع آخرين على الأنضمام ، أملاً في الحصول على المبلغ الكبير ذات يوم . والطريف أن هذه الظاهرة أنتشرت حتى أصبح لها مكاتب ، وإعلانات . وحتى أضطرت الحكومة إلى مواجهتها ، وعانت في سبيل ذلك كثيراً ، لأنها أكتشفت أن عدداً كبيراً من رجال الشرطة قد أستهوتهم الفكرة وشاركوا فيها. كل ذلك منشور في مجلات وصحف تلك الفترة . وربما كانت هذه القوائم ضوءاً أخضر ، أوضح للقادمين على جناح بيوت الأموال عدة حقائق، كانت وراء نجاحهم فيما بعد . وتتمثل في وجود كم كبير من المدخرات ، مصحوب بكم هائل من الميل إلى المقامرة ، والرغبة في الكسب الكبير والسريع بغير جهد يذكر .

http://nj180degree.com

ولا عزاء للمودعين

هذا إذا وقعت الواقعة ، وهي في تقديري سوف تقع . والأختلاف أن البعض قد رتب نفسه على هذا الأساس . والبعض الآخر مازال يُجاهد من أجل أن تدور عجلة الإيداع بأسرع مما تدور عجلة السحب، حتى يستمر الملعوب قائماً ، ويدوم الأمر إلى ماشاء الله . والمجموعتان ، من حسبوها ورتبوا أنفسهم ، ومن تفاعلوا فأجهدوا أنفسهم بالإعلان والإعلام . يتحرقون شوقاً ليوم تتخذ فيه الحكومة خطوة غير محسوبة . فيُنحون باللائمة عليها ، ويهبطون بالكارثة فوق رأسها ، ويعلنون أنها هدمت المعبد على رؤوس المودعين . ويملأون الصحف بإعلانات ونداءات للمسئولين ، أن يتدخلوا لإنقاذ الأوضاع ، وأن يوقفوا القرارات حفاظاً على أموال المساهمين (كذا) . تهيئة للرأي العام ، وتمهيداً للأذهان ، لقبول ما ستأتي به الأيام، حين يتوقفون عن صرف الأرباح ، ثم حين يدعون المُودعين إلى صرف ما تبقى من أموالهم بعد الخسائر . وقد يكون المُتبقي ربع الأموال أو ثلثها أو نصفها . وليس لمودع حجة ، فهو مرتبط معهم في الحالتين . إن ربحوا ربح، وإن خسروا خسر . وبعض المودعين سوف ينهار باليقين . وبعضهم سوف لا يتأثر ، لكونه مودعاً من قديم . ولأنه في تقديره ، حصل على أمواله من قبل وأكثر . ووسط هذا التضارب ينتهي الأمر . وقد يُفكر البعض في اللجوء للقضاء ، فيكتشفون أن العقد شريعة المتعاقدين . وقد يفكر البعض في اللجوء

http://nj180degree.com

للمدعي الإشتراكي ، فينصحهم الآخرون أن لا يفعلوا . لأنهم سوف يحصلون بـــالتراضي على نصف أموالهم . أما إذا تدخل المدعي ، فستبدأ لجان الجرد ، ولجان الحـــصر ، ولجان التحقـــيق ، وفرض الحراسة ، وإجراءات محكمة القيم ، والمرافعات المثيرة ، والبـــيع بالمزاد العلني ، وخصم نسبة من ثمن البـــيع لصالح جهاز المدعي مقابل الإدارة . وبعد عشر سنوات إن شـــاء الله ، يُمكن للمودعين أن يحصلوا على ربع أموالهم إن أحسنّا الظن ، أو عشرها إن أسأناه .

والسيناريو السابق وارد ، والعوام في بلادنا يصفون ما سبق بما هو أهل له من ألفاظ مُوحية . فلو حدث ما وصفناه ، وسوف يحـــدث من البعض ، لوصفوه بـــأنه (بُمْبَة) أعطاها فلان للمودعين لديه . وكلمة بمبة هنا تُوحي بأشياء متعددة . فهي توحي بالمفاجأة . وهي تُوحي بالمباداة . وهي تُوحي أيضاً بالأنفجار . والأنفجار له شظايا ، وله ضحايا . والبمبة بهذا المعنى تختلف كثيراً عن (الزُمْبَة) ، تلك التي سوف يعطيها البـــعض الآخر من أصحـــاب بـــيوت الأموال للمودعين. حيث لا شظايا، ولا أنفجارات، ولا مواجهات. وإنما صباح أسود ، يصحو فيه المودعون ، فلا يجدون صاحب الشـــركة . تماما كما حدث في بيت الهلال . وساعتها سوف يُطمئن البعض أنفســـهم بأنه في عُمْرَة ، وأنه سوف يعود قريباً من الأراضي المقدســـة . ثم تتناثر الشائعات بعدها عن أن فتية آمنوا بربهم ، شـــاهدوه في جزر الكناري . وأنه بارك الله فيه ، كان يُخفي عينيه بيديه متحاشياً مرأى

KMH

http://nj180degree.com

الصدور العارية أو العارمة – وساعتها سوف يدرك الجميع أنها (زمبة) . وأنه محظور عليهم سحب أموالهم إلا بعد ثلاثة شهور ، وفقاً للعقد الذي وقعوه . وهي فترة كافية حتى تستوى (الزمبة) ، وحتى تُتغير الشمس لون سحنته (بارك الله فيه) ، وحتى يلملم من البنوك الأجنبية شتات ثروته (بارك الله فيه) ، وحتى تتولى المافيا إصدار بطاقات جديدة بهويته (بارك الله فيه) ، بعد أن يقوم طبيب التجميل بممارسة حرفته (بارك الله فيه) . بعدها يتحول الحاج لمعان ألمظ إلى شابان ديلماس . ويلاحظ القارىء هنا أننا توقفنا عن ترديد (بارك الله فيه) ، لأنه لا محل لها ولا معنى في بلاد الفرنجة . حيث لا يكفي رفع الإصبع إلى أعلى لجمع مليار أو مليون أو حتى مليم . بل ربما ترجمها البعض على أنها إشارة شديدة الوقاحة ، لا يليق أن تصدر من الكونت شابان أو الكونتيسة أووم شالابي .

وقد ذكرنا من قبل أن البعض يُجاهد بالإعلانات حتى تستمر حركة الإيداع ، وتتجاوز معدلات السحب ، طمعاً في الأستمرار إلى ماشاء الله . وأن البعض الآخر قد أدرك أن لا فائدة ، وبدأ يُخطط بالفعل للزمبة .

كيف كان ذلك ؟. نذكر للقارىء وأمرنا إلى الله ..

إذا التفت للقارىء تعال أشتر هذا القلم الذي أكتب به بجنيه ، وقبل القارىء ذلك ، وأعطاني الجنيه فأعطيته القلم . فلا شيء غريب في هذه القصة . لكن الغرابة تبدأ حين أذكر للقارىء أنني سوف أرد له

http://nj180degree.com

الجنيه بعد أربعين شهراً مثلاً . هنا سوف يتساءل القاريء : وسوف تسترد القلم في هذه الحالة ؟. فأقول له : لا .. إن القلم أصبح من حقك لأنك اشتريته بالجنيه ، وأنا أخذت الجنيه ، وسوف أستثمره لك . ومن أرباحه بعد أربعين شهراً سوف أرد لك الجنيه كاملاً ..

القصة هنا فيها مغالطة هائلة ، لأن الجنيه الذي أخذته ، والذي سوف أستثمره ، لم يعد مملوكاً للقاريء . ليس له أي حق فيه . لأنه أخذ مقابلاً له من اللحظة الأولى . وحين يُستثمر الجنيه ، فلابد أن يُستثمر لصالحي ، وليس لصالح القاريء . فإذا ذكرت للقاريء أن لدي عدداً كبيراً من الأقلام ، وأريد ان أبيعها بنفس الطريقة . وأنني مصرّ على أستثمار ثمن البيع لصالح المشترين . فالنتيجة المنطقية لذلك أن القاريء لن يتردد ، وأن أصدقاءه لن يترددوا في جمع كل مليم من مدخراتهم لشراء الأقلام . لأنهم سوف يكسبون الأقلام ، ثم تعود إليهم نقودهم مرة أخرى . فإذا لم تعد ، فليست هناك مشكلة على الإطلاق ، لأنهم أخذوا أقلاماً بثمنها .

منطقي أن يحدث هذا ، وأن يكون الإقبال بلا حدود ، وأن تنهال المدخرات بغير حد . لكن القصة نفسها تبقى غير معقولة . ويصبح فيها حلقة مفقودة أو شيء غير مفهوم ، علينا أن نفهمه ، وأن نفسره معاً..

لقد أعلن أحد أصحاب بيوت الأموال (بارك الله فيه) عن شيء شبيه تماماً بما سبق ، في صفحات إعلانية كاملة ، توّجتها صورته،

http://nj180degree.com

وصورة محافظ سابق (بارك الله فيه) بصفته رئيساً لهذا المشروع .
الذي يتلخص حسب ما فهمته وفهمه الجميع من الإعلان ، في دفع
ستين ألف جنيه للشركة ، وفوقها مقدم ستة آلاف جنيه ، أي أن
المجموع ستة وستون ألف جنيه ، يتم بعدها الحصول " فوراً " على
شقة كبيرة وسيارة ، قيمتهما معاً تساوي المبلغ السابق . وبعدها
بأربعين شهراً ، يتم أسترداد المبلغ بكامله .

- ما هو مصدر هذا الأسترداد ؟.

الإجابة : أرباح المبلغ ..

- أي مبلغ، إن المبلغ لم يعد من حقي بعد أستلام الشقة والسيارة؟.

الإجابة : أنت هكذا دائماً .. حنبلي .. الرجل يقول لك سأعطيك
الربح مرة ثانية ، وأنت تقول لا .. أمرك عجيب يا أخي ..

نعم ، أمري عجيب ، فشهادة الدكتوراه التي أحملها في الأقتصاد
لم تشفع لي في فهم ما سبق ، إلا على النحو التالي ، وعلى سبيل
الحصر ، في أحتمالين لا أقل ولا أكثر ..

الاحتمال الأول : أن صاحب البيت يربح من بيع الشقة والسيارة.
وأن أرباحه – على البركة – تتراوح بين عشرة آلاف وعشرين ألف
جنيه ، بمتوسط خمسة عشر ألفاً . وأن الرجل يُحسب المودعين لديه
مما يملك عليه كيانه . وأنه في سبيل المُودعين ومن أجلهم ، سوف
يتنازل عن عائد أستثمار هذه الأرباح لصالحهم . وواضح هنا أننا
أمام السخرية ، لأنه أفتراض غير معقول ولا مبرر له . وبالتالي لا

http://nj180degree.com

مبـــرر لإضافة أفتراضات أخرى اليه . منها أنه ســـوف يربـــــح بأستمرار ، ولن يتعرض للخسارة ، أو حتى للحسد الذي فلق الحجر . وأنه سوف يربح سنوياً ما لا يقل عن عشرين في المائة . وأنه سوف يُعيد استثمار هذه الأرباح لصالح المودع الحبيب . ولن يقـــودنا هذا كله إلا إلى خمسة عشر ألفاً يعطيها له بعد أربع ســـنوات ، أي بـــعد ثمانية وأربـــعين شـــــهراً ، في ظل كل الأفتراضات ، أو التهيؤات السابقة .

الأحتمال الثاني : أن الأرباح هي المقصودة ، وأن الخمسة عشـــر ألفاً هي التي عليها العين ، ولنا أن نتواضع ونُخفضها إلى عشـــــرة آلاف . وفي ظل الإغراء الهائل لقصة (أدفع الفلوس وخذها وعليها شقة وســـيارة) ســـوف يتدافع المودعون . وهنا يتجمع في خزانة صاحب البيت أو في قفته ، مليون جنيه من كل مائة مودع ، وعشرة ملايين جنيه من كل ألف مودع ، ومائة مليون جنيه من كل عشـــرة آلاف مودع . والجديد هنـــا أن موقف المودع مُختلف هـــذه المرة ، حيث لا يُمكنه التراجع أو سحب النقود كما كان يمكنه أن يفعل سابقاً . لأنه حصل هذه المرة على الشقة والســـيارة . وأقـــصى ما يفعله أن ينتظر الأربعين شهراً ، والتي تنطبق عليها خلال التســـعة والثلاثين شهراً الأولى منها قصة جحا والحـــمار . فربـــما يصدر القـــانون المنتظر (*) فيصبح حجة للتوقف ومبرراً للأعتذار . والعذر مقبول ،

(*) واضح أن الموضوع بأكمله كُتب قبل صدور قانون توظيف الأموال . وقد قررنا للأمانة وللتاريخ أن لا نغير فيه حرفاً واحداً .

http://nj180degree.com

قد دفعتم وأخذتم . وكنا نود أن نزيدكم ونعطيكم من فضل الله ، وكان فضل الله عظيماً لو لا الحكومة .

هذه واحدة ، أما الثانية والبديلة ، فهو أن استرداد المبلغ مرهون بالربح . أي أنه شيء لزوم الشيء . بمعنى أن دفع المبلغ مرة ثانية بعد أربعين شهراً ، مرتبط بتحقيق أرباح خلال هذه الفترة . أما إذا خسرنا ، فقد انتفت العلة ، وانضحت الأدلة ، وظهرت الذرائع كالأهلة . وليس لك أن تحزن أو تلعن ، فقد حصلت على حقك كاملاً. وكنا نود على سبيل التجديد ، أن نهبك المزيد ، لولا أن أراد الله . وما أراد الله كان ، وما شاء فعل . وماذا تفعل أنت أيها المودع المغرور ؟. إن الدنيا كلها ، وليست نقودك فقط ، لا تزيد عن كونها متاع الغرور . احمد ربك أنها جاءت في النقود ، ولم تأت في صاحب النقود . واشكر إلهك ، فمن تكون أنت ، وماذا تكون نقودك ؟. إن أنتما إلا فطرة في بحر ، وذرة في قفر . وأين أنت من قارون ، وأين ثروتك من ثروته ، وأين هي الآن ثروته ؟. وأين أنت ممن دخل جنته وهو ظالم لنفسه ، قال ما أظن أن تبيد هذه أبداً فبادت ؟. وأنت كنت تظن أن ثروتك لن تبيد أبدا فبادت ، بادت يا مغرور ، بادت يا بعرور . فلا تمش في الأرض مرحاً ، إن الله لا يحب كل مختال فخور . وإذا كان قارون قد أصبح على الحديدة ، فيكفيك أن لديك شقة جديدة وسيارة جديدة .

هذا عن الثانية ، أما الثالثة ، وفي تقديري أنها الأكيدة ، فهي موجزة

http://nj180degree.com

في كلمة وحيدة ، نخشى أن نذكرها فيقاضينا البعض ، بحجة أننا نتهمهم في ذمتهم ، أو نطعن في بياض صفحتهم . ولهذا نسوقها للقاريء في شكل فزورة : كلمة وحيدة ينطقها صاحب البيت في الشهر التاسع والثلاثين ، ويسبقها بتنهيدة ، ويرد عليها المودعون بقولهم ، سعيدة مبارك ، ما هي هذه الكلمة ، وما هو سر التنهيدة ؟ .

ويا عزيزي القاريء ، موعدي معك وليس معهم ، بسبب عوائق جغرافية ، وربما عوائق أمنية ، بعد تسعة وثلاثين شهراً بالتمام والكمال ، إن كان لنا عمر وأحيانا الله ..

http://nj180degree.com

وماذا عن الدولة ؟

الدولة هي الخاسر الأكبر، لأن المدخرات لم تتجه إلى حيث يجب ان تتجه ، ونقصد الأستثمار . رغم أن أصحاب البيوت يحاولون الإيهام بغير ذلك . ويستغلون ضعف الذاكرة ، حين يشترون بعض المصانع القائمة قبل دخولهم الحلبة . مثل ثلاجات زانوسي ، وعصروات نور ، وأثاث سان ماركو . ولا يستثمرون كما سبق وذكرنا إلا ما يعادل زكاة المال .

ولأن مصر تعاني مما يسمى بالعجز التجاري ، ومعناه ببساطة انها تستورد أكثر مما تصدر ، لأنها تنتج أقل مما تستهلك . فإن الحل الوحيد لمشكلتها هو الإنتاج ، والإنتاج يتطلب أستثمارات ، والأستثمارات تحتاج مدخرات ، والمدخرات أخذتها بيوت الأموال. وهكذا وجهت بيوت الأموال الطعنة النجلاء إلى صدر الأقتصاد القومي . وتكفل بعض أصحاب البيوت (بارك الله فيهم) بإشعال الأسعار . وركزوا (بارك الله فيهم) على سلع أساسية مثل اللحوم والذرة الصفراء والحديد . وإذا كانت بعض السلع لم ترتفع أسعارها بما فيه الكفاية حتى الآن ، فجل من لا يسهو. ولهم في بنك فيصل الإسلامي في السودان أسوة حسنة ، حيث أستغل قوانين النميري الخاصة بالشريعة ، وأستخدمها كذريعة ، لما أسموه بالمضاربة حينا

http://nj180degree.com

وبالمرابحة احيانا . وقد ابلى بلاك فيصل تحت شعار الإسلام فى السودان اروع البلاء . والإسلام من فعاله براء ، حين ضارب على السلع الغذائية ضاربا عرض الحائط بحاجة الفقراء . وهو امر معروف هناك للقاصى والدانى ، ويتردد على لسان كل سودانى .

غير اننا لا نخلى الحكومة من المسئولية ، بتعقيداتها الروتينية ، وتعدد اجهزتها الرقابية ، وفساد ذمم البعض فيها، وتمتع بعض اخر بقدر هائل من سوء النية . الامر الذي يدفع الراغبين فى الاستثمار إلى احضان بيوت المال . والمثير ان الحكومة رغم انها فى نظرنا الضحية ، إلا انها واقعة بين نارين : نار الصمت ، فتتهم يوم الهول بأنها شاركت حين غضت البصر ، ورفضت الفحص والنظر . إضافة إلى تقصيرها في حق نفسها ، بتركها المدخرات تتسرب من حيث تتجه أو حيث يجب أن تتجه ، إلى أحد ألغاز شرلوك هولمز ، واحدى قصص الف ليلة وليلة العصرية، التي سوف يسمعها احفادنا ان شاء الله بعد عمر طويل ، عن الشاطر حسن الذي انتصر على الجميع واخذ نقود الجميع . وسافر بها على جناح الرخ إلى مملكة بهبهان . ناهيك عن تخوفات الدولة عن تدخل البعض فى السياسة ، ومناصرتهم لاتجاه سياسي مناهض او على الاقل توقع هذه المناصرة . هذا عن نار عدم تدخل الدولة ، وهي ليست اهون من نار تدخلها . الذي إن لم يكن محسوبا ، فسوف يُصبح من وجهة اصحاب بيوت الاموال مطلوبا ، لضرب اكبر (بمبة) في تاريخ

http://nj180degree.com

الاقتصاد المصري . حيث يتم تأميم الثروة المصرية المتراكمة للمرة الثانية في تاريخ مصر ، ليس لصالح القطاع العام هذه المرة ، وإنما لصالح الإقطاع الخاص .

http://nj180degree.com

وما هو الحل ؟

وليعذرنا القاريء هنا إذا توقفنا لحظة لنذكر أننا كثيراً ما نشعر بأننا تتفخ في قربة مقطوعة . فقد كان لنا شرف التنبيه لأول مرة لخطورة ما أسميناه بالتيار الإسلامي الثروي في كتابنا قبل السقوط" في يناير ١٩٨٤ . بل وأكثر من ذلك ، فقد ذكرنا بوضوح حين قارناه بالتيارين الآخرين ، التقليدي والعنيف ، أنه أكثر التيارات الثلاثة نجاحاً . ولو تنبه المسئولون وقتها لما ذكرناه ،لأصبح الحال غير الحال. وما علينا ولنعد إلى التساؤل ، لكي نُجيب بأننا نقترح خطة تشتمل على ثلاثة أتجاهات ..

الأتجاه الأول

يتمثل في رفع سعر الفائدة على المدخرات المحلية ، وأبتداع نظم جديدة لصرف الفائدة شهرياً أو كل شهرين أو ثلاثة، مع تلافي الآثار السلبية على تمويل الأستثمارات بدعم هذا التمويل في البداية ، ثم التخلص من الدعم تدريجياً .

الأتجاه الثاني

يتمثل في إزالة معوقات الأستثمار ، خاصة المحدود ، بتشجيع تمويله . وتوفير المناطق الصناعية الملائمة بشروط ميسرة . وتحديد توقيتات زمنية لتوفير الخدمات له وأختصار الإجراءات

KMH

http://nj180degree.com

وكثير من الموافقات ، بل إلغائها .

الاتجاه الثالث

وهو الأهم ، ولابد أن يكون مصحوباً بالاتجاهين السابقين . ويتمثل في تصحيح مسار بيوت الأموال ، وضبط إيقاعها على الأسس التالية التي نعتقد أنها عادلة وأن أحداً لا يختلف حولها. وهي :

١- إيداع الأموال بأسم المساهمين في صورة شركات مساهمة للاستثمار أو للتجارة أو للمعاملات المالية . بحيث يكون لها جمعيتها العمومية . وبحيث ينتخب المساهمون مجلس الإدارة . وبحيث تخضع الشركة لرقابة قانون الشركات . وبحيث يُصبح للشركة دفاتر محاسبية منتظمة .

٢- أداء حق الدولة المتمثل في الضرائب على الأرباح .

٣- إعلان الدولة عن إخلائها لمسئوليتها عن أي تعاملات تتم خارج الأطر السابقة .

http://nj180degree.com

وتبقى كلمة

وهي كلمة هامة بالنسبة لنا وبالنسبة للقاريء . فقد أجتهدنا في محاولة الفهم . ولعلنا نتمثل في أجتهادنا بقول أبي حنيفة : سُئل : هل ما ذكرت هو الصواب الذي لا يحتمل الخطأ ؟. فكانت إجابته : والله لا أدري فلعله الخطأ الذي لا يحتمل الصواب .

ومن هنا فإن على البعض ممن أستشعر في معالجتي خطأ في التحليل أو المعلومة ، أو سوء عرض أو تصور ، أن يبادر بتصحيح الوقائع أو تعديل التصور أو إعلان المعلومة الصحيحة . ولعله بهذا يخدم الحقيقة التي هي غاية الجميع . ويصحح لنا ما التبس علينا فهمه .

أما الميل إلى الدعابة التي قد تجرح – دون قصد منا – مشاعر البعض ، فهو أمر لا نملك له رداً ، ولم نسع إليه ، بل سعى هو إلينا . فعز علينا أن نرده خائباً .

ولا يبقى إلا أن نشكر القاريء على فضيلة الصبر ، وأن نحمد الله على نعمة الستر . تلك التي سمحت لنا بالخوض فيما خضناه دون خوف على مصلحة ، أو تحسبٍ لنفع ، أو رجاء لكسب . ولسنا ندري أخيراً كان ذلك كله ، أم شراً ؟. كل ما ندريه أنها إرادة الله ومشيئته . وما أراد الله كان ، وما شاء فعل .

http://nj180degree.com

ملحق

قراءة في ملفات تحقيقات
المدعي الاشتراكي وأجهزة الأمن

" كان حلم وراح .. انساه وأرتاح "

" المطرب محمد عبد المطلب "

http://nj180degree.com

http://nj180degree.com

١- أول شركة تولى المدعي الأشتراكي التحقيق مع أصحابها هي شركة أسسها رئيس نيابة سابق (م . ح) يعاونه والده (مستشار سابق) وأستوليا على ٢ مليون جنيه مقابل أرباح ٢٤% سنويا . ثم توقفا عن سداد الأرباح والمدخرات . ولم يستطع المدعي الأتراكي أن يضع يده إلا على نصف مليون جنيه .

٢- نشر المحامي (ف . ع) إعلاناً في السياسة الكويتية يدعو المصريين العاملين في الخارج للمساهمة في مشروعات في مصر مقابل ٢٦% عائد . وأستطاع جمع ١٢ مليون جنيه ، ثم توقف عن دفع الأرباح وأصل المساهمة . وأمكن القبض عليه بقرار من المدعي الأشتراكي قبل هروبه للخارج . ولم يضع المدعي الأشتراكي يده إلا على مليون دولار فقط .

٣- انشأ فلسطيني أسمه رياض سلامة أبو زيد شركة " الرضا لتوظيف الأموال . وجمع مليوني جنيه وهرب خارج البلاد .

٤- أنشأ سمير فوزي داوود " شركة مصر الجديدة لتوظيف الأموال " . وجمع مليوني جنيه ، ثم هرب إلى أستراليا .

٥-شركة الصاوي لتوظيف الأموال بالعجوزة ، هرب صاحبها للخارج بربع مليون جنيه .

٦- نادية عبد السلام ندا أعلنت عن شركة لتوظيف الأموال وجمعت ٧٠ ألف جنيه ، وهربت للخارج .

٧- شركة (ميجرو) السويسرية لتوظيف الأموال ، جمعت نصف مليون جنيه في شهر واحد . ثم أختفت الشركة بكل لافتاتها

http://nj180degree.com

وإعلاناتها .

٨- إبراهيم أبو العزم جمع تحت اسم توظيف الأموال أكثر من نصف مليون جنيه ، وأختفى بعدها .

٩- محسن السباعي حافظ (جندي بحرية ، صادر ضده عدة أحكام نصب في مدينة الأسكندرية) . هرب إلى القاهرة ، وأستأجر شقة مفروشة في منطقة الهرم ، وأعلن عن شركة "تورا" لتوظيف الأموال . ونشر إعلانات في الصحف والمجلات ، ومن بينها (مجلة الأمن العام) التي تصدرها وزارة الداخلية ، واستطاع جمع مليوني جنيه وعاود الهرب .

١٠- مدرسة لعدة سنوات في منطقة الخليج ، أقنعها أحد المغامرين بتوظيف أموالها في شركة إسلامية . وأستولى منها على ١٥ مليون دولار مقابل أرباح ٢٥% ، وصرف لها أرباحا بلغت ٥ مليون دولار . ثم هرب بباقي المبلغ خارج البلاد ، ولم يستطع المدعي الأشتراكي التحقيق في واقعة تمت خارج حدود البلاد .

١١- " النهار لتوظيف الأموال " أسسها ثلاثة ، هم طارق أحمد عبده (٣٣ سنة) يعمل مندوب مبيعات شركة بلاستيك ، وطالب ثانوية عامة أسمه إبراهيم عبد الحكيم ومعهما طه مصطفى ، دبلوم تجارة . وجمع الثلاثة مليون جنيه مقابل عقود وشيكات بدون رصيد . وأستطاع طارق بأعتباره المدير ، أن يسحب كل المبلغ ، وأن يهرب به مع زوجته إلى لندن . ودخل الشريكان السجن بعد هروبه .

١٢- ا . ع . ع أستولى على أكثر من مليوني جنيه لتوظيفها

http://nj180degree.com

إسلامياً مقابل ٢٤% أرباح، ثم توقف عن سداد الأرباح أو الأموال .

١٣- الشقيقان ف و ص . ا . ع أعلنا في الصحف عن شركة لتوظيف الأموال ، وجمعا ٢٢٠ ألف جنيه مقابل شيكات بدون رصيد .

١٤- ب . ب . م تاجر عملة يمارس نشاطه بالكويت ، أستولى على ٢٠ مليون جنيه بحجة توظيفها لصالح أصحابها المصريين مقابل ٥٠% عائد سنوي ، ثم أمتنع عن رد الأموال لأصحابها .

١٥- ح . م . ح أستولى على مليون جنيه بزعم توظيفها في أعمال تجارية مقابل نسبة عالية من الربح ، ولم يصرف أرباحاً ولم يرد أصل المبلغ .

١٦- ص . او خ . ا . اوشقيقها م . ا . اومعهم ع . ع . خ ، استولى الأربعة على ٤٠ مليون جنيه لتوظيفها في مشروعات وهمية .

(ملحوظة : الأسماء الكاملة لدى المؤلف . وقد تم الأكتفاء بذكر أسماء الهاربين ، وتأجيل ذكر الأسماء الكاملة للآخرين لحين أنتهاء

http://nj180degree.com

مؤلفات الدكتور

فرج فودة

تنشرها وتوزعها دار ومطابع المستقبل

بالفجالة والأسكندرية

الحقيقة الغائبة	الطريق إلى الهاوية
حوار حول العلمانية	الملعوب
حوار في المهجر	النذير
قبل السقوط	نكون أو لا نكون
زواج المتعة	الطائفية إلى أين؟
الإرهاب	مع يونان لبيب رزق
شاهد على العصر	وخليل عبد الكريم

رقم الإيداع
٢٠٠٤ / ٩٢٤٧
الترقيم الدولي
٩٧٧, ٥٣٦٥, ٧٤,٠

http://nj180degree.com

المحتويات

	الصفحة
ولا تعليق	٧
المناخ المهيأ والأرضية الممهدة	١٠
ونتوقف قليلاً	١٤
البدايات	٢١
وفجأة بدأ التطوير	٢٣
الملعوب	٢٧
لعبة الحالة صفر	٣٣
التنوع والتمايز في أساليب البيوتات	٣٩
البيوت والأستثمار	٤٤
البيوت والسياسة	٤٧
النجاح المؤكد	٥٣
هذا عن النجاح فماذا عن الكوارث ؟	٥٦
العقد شريعة المتعاقدين	٦٤
ولا عزاء للمدعين	٦٩
وماذا عن الدولة	٧٧
وما هو الحل	٨٠
وتبقى كلمة	٨٢
ملحق	٨٣

http://nj180degree.com

ليس أقدر على روايـــة قصة بيـــوت توظيـف الأمـوال في مصـر ، وكشـف أسـرارها وغوامضها، من الدكتور فـرج فودة في هذا الكتاب المضحك المبكي، والذي يشهـــد على غـــرابة القصة ، وسذاجة المصـريين .

يزيح المؤلف الستار عن بدايتها مع بيت الشريف ، ثم تضخمها مع بيت الريـان ، وبقية البيوت الأخرى . ولم تقم هذه البيـــوت جميعاً صناعة ، أو زراعة ، أو تجـارة ،تفتح بها بيوت مصريين، وإنمـا كان أكثـرها يتاجر بما جمعـه من العملة .

دار ومطـابع المسـتقبل
بالفجـالة والإسكندرية
ومكتبة المعارف ببيروت